سحرة البيان وسحرة الثعبان

التوحيد

العدد ٦٣٨ السنة الرابعة والخمسون- صفر ١٤٤٦ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٣٨ السنة الرابعة والخمسون- صفر ١٤٤٦ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

فقه التعامل مع القرآن الكريم

التكييف الفقهي لأسهم الشركات المساهمة

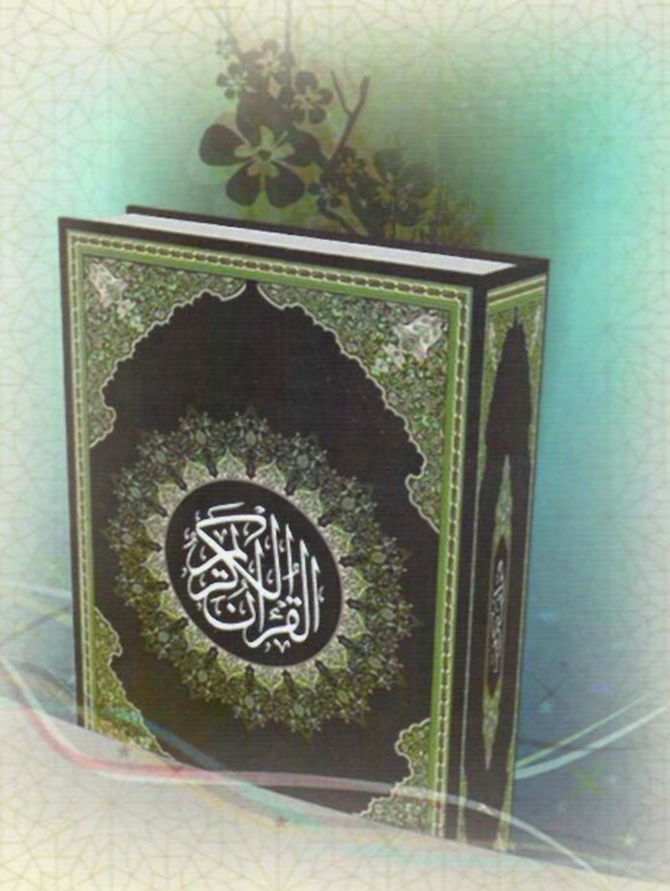

الرحمن على العرش استوى

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

السلام عليكم

التعاقد مع مندوبي تسويق وإعلانات

بهدف تطوير المجلة، وتوسيعًا لأنشطتها؛ تقرر إنشاء قسم جديد؛ هو: قسم التسويق والإعلانات بالمجلة.

وعليه، ترغب المجلة في التعاقد مع مندوبي تسويق وإعلانات.

ولذا نرجو ممن يجد في نفسه القدرة، ولديه خبرات في مجال التسويق والإعلان، أن يتفضل بإرسال سيرته الذاتية على الواتساب

رقم ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالًا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالًا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ‖
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ‖
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

فهرس العدد

افتتاحية العدد — فضيلة الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد — ٢
باب التفسير — د. عبد العظيم بدوي — ٥
باب العقيدة — د. عبد الله شاكر — ٨
التكييف الفقهي لأسهم الشركات المساهمة — د. أيمن خليل — ١١
الدعاء في الصلاة — د. جمال المراكبي — ١٧
من أساليب التربية — الشيخ عادل شوشة — ٢١
منزلة الصلاة في الإسلام — الشيخ صلاح نجيب الدق — ٢٤
فقه التعامل مع القرآن الكريم — د. محمد حامد — ٢٨
واحة التوحيد — د. علاء خضر — ٣٢
السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم — د. عبد الرحمن فودة — ٣٤
سحرة البيان وسحرة الثعبان — د. أحمد بن سليمان أيوب — ٣٧
علامات محبة الله تبارك وتعالى وثمراتها
عبد العزيز مصطفى الشامي — ٤٠
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — الشيخ أسامة سليمان، رحمه الله — ٤٣
تحذير الداعية من القصص الواهية — الشيخ علي حشيش — ٤٥
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال
د. محمد عبد العليم الدسوقي — ٤٩
فاعلم أنه لا إله إلا الله — الشيخ إبراهيم حافظ رزق — ٥٣
الغفلة عن صلاة الفجر — الشيخ صلاح عبد الخالق — ٥٦
نعمة النطق — الشيخ عبده أحمد الأقرع — ٥٩
مولد الحسن بن علي رضي الله عنهما — د. سيد عبد العال — ٦٢

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

الرحمن على العرش استوى

إعداد الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والصلاة والسلام على البشير النذير، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعدُ:

فإن من أصول اعتقاد أهل السنة أن الله تعالى مستوٍ على العرش بلا تشبيه ولا تكييف، وبما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وأنه غني عن العرش، فالعرش من مخلوقاته.

وهذا الاعتقاد دلت عليه نصوص القرآن صراحة في مواضع سبعة:

١- «إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (سورة الأعراف: الآية ٥٤).

٢- «إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» (سورة يونس: الآية ٣).

٣- «ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» (سورة الرعد: الآية ٢).

٤- «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ» (سورة طه: الآية ٥).

٥- «ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا» (سورة الفرقان: الآية ٥٩).

٦- «ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ»

(سورة السجدة: الآية ٤).

٧- «هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (سورة الحديد: الآية ٤).

وهذه الآيات اشتملت على صفات لله تعالى ليست لغيره، وهي صفات دالة على قدرته وكماله.

والاستواء في لغة العرب معناه: العلو والارتفاع، كما ذكر ذلك علماء اللغة، ومن ذلك ما ساقه ابن منظور في «لسان العرب»، وأن الاستواء: العلو، قال في معنى «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»: قال داود بن علي الأصبهاني: كنت عند ابن الأعرابي فأتاه رجل، فقال: ما معنى الرحمن على العرش استوى؟ فقال ابن الأعرابي: هو على عرشه كما أخبر، فقال: يا أبا عبد الله، إنما معناه استولى، فقال ابن الأعرابي: ما يُدريك، العرب لا تقول استولى على الشيء حتى يكون له مضادّ، فأيهما غلب فقد استولى. (باب الواو والياء من المعتل، فصل السين المهملة)

> **”الاستواء في لغة العرب معناه: العلو والارتفاع، كما ذكر ذلك علماء اللغة.“**

وعند تفسير الاستواء قال ابن كثير رحمه الله: للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والنووي، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إجراء ما جاء في ذلك من غير تكييف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفيّ عن الله، فإن الله لا يشبهه أحد من خلقه، «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١)، بل الأمر كما قال الأئمة -منهم نُعيم بن حماد الخزاعي؛ شيخ البخاري-: "مَن شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه". فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص؛ فقد سلك سبيل الهدى.

ومما ورد على لسان الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا».

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ-: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».

هذا، وقد ورد في الكتاب العزيز ما يدل صراحة على علوَ رب العباد سبحانه في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: «تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» (المعارج: ٤)، وقوله سبحانه: «إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ» (آل عمران: ٥٥)، وقوله سبحانه في شأن عبده ورسوله عيسى عليه السلام: «بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» (النساء: ١٥٨).

وفي كل هذه النصوص وغيرها يقول الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: "أصل

الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة، بل هو ثابت في كل كتاب أُنزل على كل نبي أُرسل، وكيف يُنكر على من يقول: إن الله في السماء، وقد أقر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث مسلم، لما سأل الجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء. فلم يُنكر عليها، وكان ذلك بحضرة بعض أصحابه، رضوان الله عليهم، وقال: «اعتقها؛ فإنها مؤمنة».

وقد اطلعت على رسالة في إثبات الاستواء والفوقية لوالد إمام الحرمين الجويني، المتوفى ٤٣٨هـ قال فيها: «ومَن لا يعرف وجهة معبوده تكون الجارية راعية الغنم أعلم بالله منه، فإنها قالت: في السماء. عرفت بأنه على السماء، فإن "في" تأتي بمعنى على كما في قوله تعالى: «يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ» (المائدة: ٢٦)، أي: على الأرض، وقوله: «وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» (طه: ٧١)، أي: على جذوع النخل، ومن لا يعرف وجهة معبوده فإنه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنوار المعرفة والإيمان».

وقد اشتهر عن الإمام مالك، إمام دار الهجرة الأثر المبين لحقيقة الاستواء، وهو أصرح صحيح مرويّ من طرق عديدة، رواه عنه خلق كثير، منهم جعفر بن عبد الله، قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى». كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء، ما وجد من مسألته، فنظر على الأرض وجعل ينكت بعوده في يده حتى علاه العرق، ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: "الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". وأُمِرَ به فأُخْرِجَ.

ورحم الله الشيخ الدكتور محمد جميل غازي، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية؛ حيث قال عند تفسيره لآية الاستواء في سورة الأعراف: "إن الاستواء معناه العلو، وليس هناك كلمة أبشع من كلمة "كيف" أن يُسأَل بها عن الله، إذا قال الله عن بعض خلقه: «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» (المدثر: ٣١)، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يسأل عن نفسه بكيف: كيف أسمع؟ كيف أبصر؟ وكيف لا أدري؟ ولما فُتح على الناس هذا الباب (كيف) فتح باب جدل على الأمة، وخرج على الناس من بين قرني شيطان علم سمَوه «علم الكلام»، وله من اسمه نصيب، فهو كلام في كلام، وجدل في جدل".

ونخلص من ذلك أن العلم رحم بين أهله، وأن الاعتقاد بعلو الله تعالى إنما هو علو يليق به سبحانه، وأن استواءه على عرشه ليس كاستواء المخلوق، فهو سبحانه على عرشه وهو غير محتاج إليه، وكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، «وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ»؛ فإن صفاته سبحانه معلومة من حيث المعاني لا من حيث الكيفية، وهذا مذهب السلف الأوائل من هذه الأمة، وأدلتهم أجلى من الشمس في وضح النهار.

وإن قيل: إن العلو علا مكانه، وأن الاستواء استيلاء؛ فماذا يقال في مثل قوله تعالى: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ» (النحل: ١٠٢)، وقوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» (الشعراء: ١٩٣)؟

وليس من الإنصاف أن يُتَّهم مَن يتمسك بنصوص القرآن والسنة وكلام أهل العلم بأنهم يريدون الفُرقة بين المسلمين، ولماذا؟ لأنهم يُنزِّهون ربهم عن أن يُوصَف بما لم يَصِف به نفسه، أو وصَفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، كما أن هذا المعتقد ليس معناه تشبيه الله تعالى بخَلْقه، أو أنه حلَّ في مكان أو شيء من الحوادث.

تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فلا تعطيل ينفي الصفات عنه، ولا تمثيل بصفات الخلق مثله. «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الصافات: ١٨٠-١٨٢).

سُورَةَ السَّجْدَةَ

سُورَةَ السَّجْدَةَ

سورة السجدة

قال الله تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (السجدة: ١١-١٤).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

صفة التوفي:

«قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (السجدة: ١١).:

يَقُولُ تَعَالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا نبيَّنا لمُنكري البَعْث، إنَّ الله تعالى وكَّل بقبْض أرْواحكُمْ ملكا، يَتوفاكُمْ إذا انْتهَتْ آجالكُمْ، «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا» (آل عمران ١٤٥)، «فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» (الأعراف: ٣٤).

وَهَكذَا نَسَبَ الله تعالى التَّوفي إلى مَلك المَوْت، وَنسبَهُ في آية ثانيَة إلى الملائكة. فقال: «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» (الأنعام: ٦١)، وَنسبَهُ في آية ثالثة إليْه عز وجل، فقال: «ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا» (الزمر: ٤٢).

وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذه الآيَات: أَنَّ الله تَعالَى هُوَ الَّذي يَتوفَّى الأنْفُسَ حينَ موْتها، لأنَّهُ الَّذي قَضَى وَقَدَّر، وأذنَ للْملائكة به. وَملكُ المَوْت هُوَ الَّذي يَقْبضُ الأنْفُسَ بأمْر الله، ولملك المَوْت مُساعدُون من الْملائكة، ينْزلُون قبْلهُ بالْكفن الْمناسب لتلْك النَّفْس الَّتي سيَتوفَّاها.

وَقدْ بَيَّنَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كيْف تتوفَّى الْملائكَةُ بَني آدَم في حَديث طَويل، رَوَاهُ أحْمَدُ وَأبُو دَاوُدَ وَغيْرُهُمَا، عَنِ الْبَراء بْن عَازب رضي الله عنه قَال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في جَنَازَة رَجُلٍ من الأنْصار، فَانْتَهيْنَا إلى الْقَبْر ولمَّا يُلْحَدْ، فَجلسَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وجَلَسْنَا حَوْلَهُ كأَنَّ على رُءُوسنا الطَّيْر، وَفى يَده عُودٌ يَنْكُتُ به في الأَرْض، فَرفع رَأْسَهُ فقَال: «اسْتَعيذُوا بالله من عَذاب الْقَبْر». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ: «إنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمن إذا كَانَ في انْقطَاعٍ من

الدُّنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السَّماء بيضُ الْوُجوه، كأنَّ وُجوهَهُم الشَّمْسُ، معَهُمْ كفَنٌ من أكْفان الْجنَّة، وحنوطٌ من حنوط الْجنَّة، حتَّى يجْلسُوا منْهُ مدَّ الْبصر، ثُمَّ يجيءُ ملكُ الْموْت عليه السلام حتَّى يجْلس عنْد رأْسه، فيقُولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الطَّيِّبةُ! اخْرُجي إلى مغْفرةٍ من الله ورضْوان، قال: فتخْرُجُ تسيلُ كما تسيلُ الْقطْرةُ منْ في السِّقاء، فيأْخُذُها، فإذا أخذها لمْ يدعُوها في يده طرْفة عيْنٍ حتَّى يأْخُذُوها، فيجْعلُوها في ذلك الْكفن، وفي ذلك الْحنُوط، ويخْرُجُ منْها كأطْيب نفْحة مسْكٍ وُجدتْ على وجْه الأرْض. قال: فيصْعدُون بها، فلا يمُرُّون -يعْني بها- على ملأٍ من الْملائكة إلاَّ قالُوا: ما هذا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فيقُولُون: فُلانُ بْنُ فُلانٍ، بأحْسن أسْمائه الَّتي كانُوا يُسمُّونهُ بها في الدُّنْيا، حتَّى ينْتهُوا بها إلى السَّماء الدُّنْيا، فيسْتفْتحُون لهُ، فيُفْتحُ لهُمْ، فيُشيِّعُهُ منْ كلِّ سماءٍ مُقرَّبُوها إلى السَّماء الَّتي تليها، حتَّى يُنْتهى به إلى السَّماء السَّابعة، فيقُولُ اللهُ عز وجل: اكْتُبُوا كتاب عبْدي في علِّيِّين وأعيدُوهُ إلى الأرْض، فإنِّي منْها خلقْتُهُمْ، وفيها أُعيدُهُمْ، ومنْها أُخْرجُهُمْ تارةً أُخْرى. قال: فتُعادُ رُوحُهُ في جسده، فيأْتيه ملكان، فيُجْلسانه فيقُولان لهُ: منْ ربُّك؟ فيقُولُ: ربِّيَ اللهُ. فيقُولان لهُ: ما دينُك؟ فيقُولُ: دينيَ الإسْلامُ. فيقُولان لهُ: ما هذا الرَّجُلُ الَّذي بُعث فيكُمْ؟ فيقُولُ: هُو رسُولُ الله. فيقُولان لهُ: وما علْمُك؟ فيقُولُ: قرأْتُ كتاب الله فآمنْتُ به وصدَّقْتُ. فيُنادي مُنادٍ في السَّماء: أنْ صدق عبْدي، فأفْرشُوهُ من الْجنَّة، وألْبسُوهُ من الْجنَّة، وافْتحُوا لهُ بابًا إلى الْجنَّة. قال: فيأْتيه منْ رُوحها وطيبها، ويُفْسحُ لهُ في قبْره مدَّ بصره. قال: ويأْتيه رجُلٌ حسنُ الْوجْه، حسنُ الثِّياب، طيِّبُ الرِّيح، فيقُولُ: أبْشرْ بالَّذي يسُرُّك، هذا يوْمُك الَّذي كُنْت تُوعدُ. فيقُولُ لهُ: منْ أنْت؟ فوجْهُك الْوجْهُ يجيءُ بالْخيْر؟ فيقُولُ: أنا عملُك الصَّالحُ. فيقُولُ: ربِّ أقم السَّاعة حتَّى أرْجع إلى أهْلي ومالي.

قال: وإنَّ الْعبْد الْكافر إذا كان في انْقطاعٍ من الدُّنْيا وإقْبالٍ من الآخرة، نزل إليْه من السَّماء ملائكةٌ، سُودُ الْوُجُوه، معهُمُ الْمُسُوحُ، فيجْلسُون منْهُ مدَّ الْبصر، ثُمَّ يجيءُ ملكُ الْموْت حتَّى يجْلس عنْد رأْسه، فيقُولُ: أيَّتُها النَّفْسُ الْخبيثةُ! اخْرُجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ. قال: فتُفرَّقُ في جسده، فينْتزعُها كما يُنْتزعُ السَّفُّودُ من الصُّوف الْمبْلُول، فيأْخُذُها، فإذا أخذها لمْ يدعُوها في يده طرْفة عيْنٍ حتَّى يجْعلُوها في تلْك الْمُسُوح، ويخْرُجُ منْها كأنْتن ريح جيفةٍ وُجدتْ على وجْه الأرْض، فيصْعدُون بها، فلا يمُرُّون بها على ملأٍ من الْملائكة إلاَّ قالُوا: ما هذا الرُّوحُ الْخبيثُ؟! فيقُولُون: فُلانُ بْنُ فُلانٍ، بأقْبح أسْمائه الَّتي كان يُسمَّى بها في الدُّنْيا، حتَّى يُنْتهى به إلى السَّماء الدُّنْيا، فيُسْتفْتحُ لهُ فلا يُفْتحُ لهُ». ثُمَّ قرأ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ» (الأعراف: ٤٠). «فيقُولُ اللهُ عز وجل: اكْتُبُوا كتابهُ في سجِّينٍ، في الأرْض السُّفْلى، فتُطْرحُ رُوحُهُ طرْحًا». ثُمَّ قرأ: «وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» (الحج: ٣١). «فتُعادُ رُوحُهُ في جسده، ويأْتيه ملكان فيُجْلسانه، فيقُولان لهُ: منْ ربُّك؟ فيقُولُ: هاهْ! هاهْ! لا أدْري. فيقُولان لهُ: ما دينُك؟ فيقُولُ: هاهْ! هاهْ! لا أدْري. فيقُولان لهُ: ما هذا الرَّجُلُ الَّذي بُعث فيكُمْ؟ فيقُولُ: هاهْ! هاهْ! لا أدْري. فيُنادي مُنادٍ من السَّماء: أنْ كذب، فافْرشُوا لهُ من النَّار، وافْتحُوا لهُ بابًا إلى النَّار، فيأْتيه منْ حرِّها وسمُومها، ويُضيَّقُ عليْه قبْرُهُ حتَّى تخْتلف فيه أضْلاعُهُ،

وَيَأْتيه رَجلٌ قَبيحُ الْوَجْه، قَبيحُ الثِّيَاب، مُنْتنُ الرِّيح، فَيَقُولُ: أَبْشرْ بالَّذي يَسُوءُك، هَذَا يَوْمُك الَّذي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجيءُ بالشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا عَملُك الْخَبيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ لا تُقم السَّاعَةَ». (سنن أبي داود ٤٧٢٧ وصححه الألباني).

الحكمة من البعث:

وَبَعْدَ الْمَوْت لا بُدَّ من الْبَعْث، وَلذَلك قَالَ تَعَالَى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ »(السجدة: ١١)، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: « ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ » (المؤمنون: ١٥، ١٦)، وَقَالَ تَعَالَى: « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ » (الزمر: ٣٠، ٣١)، وَقَالَ تَعَالَى: « حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (المؤمنون: ٩٩، ١٠٠).

وَالْمَقْصُودُ من الْبَعْث وَالرُّجُوع إلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ أَنْ تُجْزَى كُلُّ نَفْس بمَا كَسَبَتْ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْس مَا عَملَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (آل عمران: ٢٥)، وَقَالَ تَعَالَى: «يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (النحل: ١١١)، وَقَالَ تَعَالَى: « يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (غافر: ١٦، ١٧).

حال المجرمين إذا بعثوا:

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّه تَعَالَى حَالَ الْمُجْرمينَ، الْكَافرينَ بربِّهمْ، الْمُكَذِّبينَ بلقَائه، « يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ » (المعارج: ٤٣، ٤٤)، فَقَالَ تَعَالَى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » (السجدة: ١٢):

«وَلَوْ تَرَى» يَا نَبيَّنَا! أَوْ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُ! أَوْ أَيُّهَا الْعَاقلُ! «إذ الْمُجْرمُونَ» الَّذينَ كَفَرُوا بربِّهمْ، وَكَذَّبُوا بلقَائه، وَقَدْ بُعثُوا منْ قُبُورهمْ، وَعُرضُوا عَلَى ربِّهمْ، فَعَلاهُمُ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ، فَنَكَسُوا رُءُوسَهُمْ خَجَلاً وَحَيَاءً، «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ » (السجدة: ١٢)، جَوَابُ «لَوْ» مَحْذُوفٌ، لتَذْهَبَ الْعُقُولُ فيه كُلَّ مَذْهَب، تَقْديرُهُ لَرَأَيْتَ أَهْوَالاً عَظيمَةً، وَخُطُوبًا جَسيمَةً، وَأَحْوَالاً ذَميمَةً. وَجُمْلَةُ «رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمعْنَا» في مَحَلِّ نَصْب مَفْعُولٌ به لفعْل مَحْذُوف، تَقْديرُهُ: يَقُولُونَ، «رَبَّنَا أَبْصَرْنَا» بأَعْيُننَا مَا أَخْبَرْتَنَا به رُسُلُك منَ الْبَعْث وَالنُّشُور، رَأَيْنَاهُ عَيْنَ الْيَقين، «وَسَمعْنَا» بآذَاننَا منَ الْمَلائكَة: «هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ » (يس: ٥٢)، وَسَمعْنَا منَ الَّذينَ أُوتُوا الْعلْمَ والإيمَان: «لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (الروم: ٥٦)، «رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمعْنَا» بَعْدَ مَا كُنَّا لا نُبْصرُ وَلا نَسْمَعُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا » (الكهف: ١٠١)، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْقيَامَة، وَكُشفَ الْغطَاءُ أَبْصَرُوا الْحَقيقَةَ، وَسَمعُوا الْحَقَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » (ق: ٢٠- ٢٢).

فَلا تَنْسَ- يَا عَبْدَ اللَّه- أَنَّكَ إلَى اللَّه رَاجعٌ، وَبَيْنَ يَدَيْه مَوْقُوفٌ، وَأَمَامَهُ مَسْئُولٌ، فَأَعدَّ للسُّؤَال جَوَابًا. وَتَذَكَّرْ:

تَذَكَّرْ يَوْمَ تَأْتي اللَّه فَرْدًا
وَقَدْ نُصبَتْ مَوَازينُ الْقَضَاء
وَهُتكَت السُّتُورُ عَن الْمَعَاصي
وَجَاءَ الذَّنْبُ مُنْكَشفَ الْغطَاء

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

مبادئ علم التوحيد

إعداد د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فقد تناولنا في المقال السابق مبادئ علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، وتناولنا حد أو تعريف علم التوحيد وموضوعه، وبعون الله نتناول في هذه المقالة حكمه وواضعه.

حكم علم التوحيد:

الحكم لغة: هو القضاء مطلقًا أو القضاء بالعدل خاصة، وأصله من المنع.

الحكم اصطلاحًا:

خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع.

وينبغي أن يعلم أن حكم العلم كحكم معلومه؛ فإن كان المعلوم فرضًا أو سنة؛ فعلمه كذلك إذا توقف حصول المعلوم على تعلم ذلك العلم، وفي الحق أن تعلم علم التوحيد منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، وهذا شأن العلوم الشرعية عامة.

التوحيد أعظم ما أمر الله به:

هذه حقيقة مُسلَّمة عند أهل السنة والجماعة وفي دين الإسلام عامة؛ فمن المعلوم أن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد، قال الله تعالى: « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ » (محمد: ١٩)، وقال سبحانه: « وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » (الإسراء: ٢٣)، وفي حديث معاذ رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا».

وفي حديث معاذ الآخر: لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن داعيًا إلى الله-تبارك وتعالى- قال له: «فليكن أول ما تدعوهم شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله».

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ أنه مُرسَل إلى جماعة من أهل الكتاب؛ يعني: أن

عندهم شيئًا من العلم؛ وبقايا من الرسالة التي بُعث بها عيسى ابن مريم، أو بُعث بها موسى (عليه السلام)، ولكنهم قد خالفوا أنبياءهم حينما وقعوا في الشرك؛ فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذًا أمره أن يبتدئ دعوته بالدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله.

ولهذا كان التوحيد هو أول الواجبات وأوجب التكليفات، وهو إفراد الله تعالى بالتوحيد والعبادة والبراءة من الشرك باتفاق أهل السنة، وفي الحديث: «إن العبد أول ما يسأل في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن الرجل الذي بُعث فيكم؟».

ومما يدل على أنه سبيل النجاة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة»، وهذا حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه. أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فهو: «لَقنوا موتاكم: لا إله إلا الله».

إذن التوحيد هو أول الواجبات وأولاها، وأفرضها على المكلفين أجمعين.

فرض العين من علم التوحيد:

هو ما تصح به عقيدة المسلم في ربه من حيث ما يجوز، يجب، وما يمتنع في حق الله تعالى ذاتًا، وأسماءً، وأفعالاً، وصفات، على وجه الإجمال، وهذا ما يسميه بعض العلماء بالإيمان المجمل أو الإجمالي، وهو ما يُسأل عنه جميع الخلق؛ لما روي عن أنس بن مالك وابن عمر ومجاهد في قول الله عز وجل: « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » (الحجر: ٩٢)، قالوا: عنْ: «لا إله إلا الله».

فرض الكفاية من علم التوحيد:

ما زاد على ذلك من التفصيل والتدليل والتعليل، وتحصيل القدرة على ردِّ الشبهات وقوادح الأدلة، والزام المعاندين، وإفحام المخالفين، وهذا ما يسمى بالإيمان التفصيلي: وهو المقدور على إثباته بالأدلة، ودفع الشُبه الواردة عليه، وهو من أجلِ فروض الكفايات في علوم الإسلام؛ لأنه ينفي تأويل المبطلين، وانتحال الغالين. فلا يجوز أن يخلو الزمان ممن يقوم بهذا الفرض الكفائي المهم؛ إذ لا شك أن حفظ عقائد الناس أكثر أهمية من حفظ أبدانهم وأموالهم وأعراضهم.

واختصارًا نقول: إن حكم الشارع في تعلُم علم التوحيد أنه فرض عين على كل مكلف من ذكر وأنثى، وذلك بالأدلة الإجمالية. وأما بالأدلة التفصيلية ففرض على الكفاية.

واضع «علم التوحيد»وطور الرواية:

وأما علم التوحيد فقد مر في وضعه وتدوينه بطورين:

أولاً: طور الرواية «ما قبل التدوين»:

لم يكن الرعيل الأول من الصحابة (رضي الله عنهم) بحاجة إلى تدوين لعلوم الشرعية؛ فقد كانوا يتلقون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحيين، ويوردون عليه ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يُثلج صدورهم، وقد وردت على النبي صلى الله عليه وسلم أسئلة من أعدائه كما سأله بعض أصحابه؛ أما أعداؤه فسألوه للتعنت والمغالبة، وأما أصحابه فسألوه للفهم والبيان وزيادة الإيمان.

وكل ذلك رواه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن بعدهم؛ فكانت مسائل الاعتقاد محفوظة في أذهانهم، مستدلاً عليها بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ولم يقع بينهم اختلاف في شأن العقيدة؛ بل اجتمعوا على عقيدة صحيحة سالمة، نقية خالية من كل شوب؛ فكانوا «أقرب إلى أن يوفقوا إلى الصواب من غيرهم بما خصهم الله به من توقد الأذهان،

وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وتقوى الرب.

ثانيًا: «طور التدوين»:

بدأ هذا الطور في حياة التابعين- وإن وقعت في زمنه، صلى الله عليه وسلم صور من الكتابة والتدوين-؛ حيث ابتدأ ذلك الإمام الزهري-رحمه الله تعالى-، ثم شاع ذلك في النصف الأول من القرن الثاني الهجري كما فعل الإمام مالك في (الموطأ)؛ حيث رُتبت الأحاديث على أبواب تتعلق بالتوحيد مثل: باب الإيمان، وباب التوحيد، وباب العلم...

ومما أوقد جذوة التدوين ما وقع في آخر زمن الصحابة من بدع واختلاف في العقيدة؛ كما في مسألة القدر، وكان أول من تكلم به معبد الجهني، ومسألة التشيع والغلو في آل البيت، وفتنة عبد الله بن سبأ، كما وقعت من قبل بدعة الخوارج، وصرّحوا بالتكفير بالذنوب. وبعد ذلك نشأ مذهب المعتزلة على يد واصل بن عطاء.

ثم بدأ التصنيف في عقيدة أهل السنة حين أصبح ضرورة لا بد منها لنفي تأويل المبطلين، ورد انحراف الغالين، وكان أول مُدوَّن عرفناه في العقيدة على هذا النحو هو كتاب (الفقه الأكبر) لأبي حنيفة رحمه الله، وهو ثابت النسبة إليه، وقد سبق الحديث عنه.

ولذلك نقول: لو قال قائل: إن واضع علم التوحيد بمعنى أول من وضع مؤلف خاصَ فيه من أهل السنة هو الإمام أبو حنيفة؛ لكان صادقًا ولم يَبعد عن الصواب.

ثم تتابع التأليف بعد أبي حنيفة في علم التوحيد؛ ولكن بأسماء مختلفة لهذا العلم؛ فمن أول ذلك -يعني: من أول ما وصلنا في ذلك من الكتب التي ألفت في علم التوحيد- كتاب (الإيمان) لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم-رحمه الله تعالى-، وتبعه على هذا كثيرون إلى يوم الناس هذا، كما ظهر مصطلح «السنة» للدلالة على ما يسلم من الاعتقادات، واشتهر ذلك زمن الإمام أحمد رحمه الله، ومن الكتب المصنَّفة باسم السُّنة كتاب (السنة) لابن أبي شيبة رحمه الله و (السنة) للإمام أحمد رحمه الله وغير ذلك.

وقد ظهر مصطلح التوحيد في مثل (كتاب التوحيد) لابن سريج البغدادي، و(كتاب التوحيد) لابن خزيمة، وواكب ذلك ظهور مصطلح «أصول الدين»، ثم ظهر التأليف باسم «العقيدة» أوائل القرن الخامس الهجري، واستقرت حركة التصنيف ومنهج التأليف، واستقل علم التوحيد علمًا متميزًا عن غيره بلقب ومنهج مخصوص.

وأخيرًا: فإن فيما سبق بيانه ردًا على من زعم من الأشاعرة والماتريدية أن واضعي علم التوحيد هما «أبو الحسن الأشعري» و«أبو منصور الماتريدي» (رحمهما الله تعالى)؛ حيث سُبقا بتآليف كثيرة كُتبَتْ على منهج أهل الحديث -أهل السنة والجماعة-، فمن زعم بأن الذي وضع علم التوحيد هو الأشعري أو الماتريدي؛ فقد جانَبه الصواب في ذلك؛ لأن أئمة أهل السنة من السابقين على الإمام الأشعري والماتريدي، قد كتبوا وألفوا في علم التوحيد.

وللحديث صلة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

التكييف الفقهي لأسهم الشركات المساهمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن السهم هو أهم الأوراق المالية التي تُصدرها شركات المساهمة وشركات التوصية بالأسهم، ويتم تداولها ببورصة الأوراق المالية، والتي تجاوزت قيمتها السوقية ميزانيات العديد من الدول مجتمعة.

إعداد **د. أيمن خليل**
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

ولما كان الحكم الفقهي الصائب فيما يتعلق بتداول الأسهم؛ لا يمكننا الوصول إليه إلا بالوصول إلى تكييف فقهي سديد للأسهم. ولا يمكن الوصول إلى التكييف الفقهي السديد للسهم إلا من خلال معرفة التصور القانوني الدقيق للسهم؛ حيث لا يتصور الوصول إلى حكم فقهي صائب بشأن تداول الأسهم إلا بالوقوف على الطبيعة القانونية للأسهم، وهو ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالرجوع إلى رجال القانون، حتى يمكن تصوير الواقع على نحو صحيح ليتسنى إصدار حكم فقهي صحيح؛ لأن الحكم على الواقع فرع عن تصوره، والخطأ في تصوير المسألة سيؤدي إلى خلل في فهم الواقع، وهو ما سيؤدي بالتبعية إلى خطأ في الحكم الفقهي.

صعوبات تكتنف تحديد طبيعة الأسهم:

توجد إشكاليات في تحديد طبيعة الأسهم؛ وذلك لأنها لا تمثل رأس المال المدفوع عند تأسيس الشركة، كما أنها لا تمثل موجوداتها عند تقييم الأسهم، وإنما تمثل الأسهم أمرًا مستقبليًا يكتنفه الغموض وعدم الوضوح، وهو ثمن الشركة بعد تصفيتها، أو الثمن النقدي لكافة أصول وموجودات الشركة عند تصفيتها عند انتهاء أجلها، وهو أمر غير منضبط، وغير معلوم اليوم أو غدًا، ولا يمكن تحديده إلا برجم الغيب.

وفي الفقه الإسلامي يترتب على اختلاف النظر إلى طبيعة الأسهم الاختلاف في الحكم عليها، فمن رأى أن الأسهم هي حصة شائعة في موجودات الشركة كان المساهم مالكًا على الشيوع في أموال الشركة، فيحتاج الأمر إلى بحث حكم بيع المال الشائع غير المفرز، كما ينتج عن ذلك اشتراطهم أن يكون نشاط الشركة مباحًا حتى يمكن شراء وبيع أسهمها.

ومن رأى أن السهم هو في ذاته (كصك) سلعة

مستقلة، فهو إذن من عروض التجارة، وذلك بغض النظر عما يمثله من موجودات في الشركة، وكذلك بغض النظر عن نشاط الشركة حتى ولو كان نشاطها هو تصنيع الخمور، وهو قول مُصادم لأصول المعاملات في الفقه الإسلامي.

خطأ القول بأن السهم عرض من عروض التجارة:

وكان بعض الفقهاء يفتي بأن السهم هو في ذاته (كصك) سلعة مستقلة، فهو إذن من عروض التجارة، وذلك بغض النظر عما يمثله من موجودات في الشركة، وكذلك بغض النظر عن نشاط الشركة حتى ولو كان نشاطها هو تصنيع الخمور؛ لأن صك السهم هو نفسه من عروض التجارة، وأنه سلعة كغيره من السلع، ولا يصح هذا القول؛ لأنه يعني أن الشركة منبتّة الصلة عن السهم، وأن السهم يُباع استقلالاً عن الشركة. وهذا الرأي لم يقل به أحد من فقهاء القانون. كما أن هذا القول لا يفسر: لماذا ينسب السهم إلى الشركة (فيقال سهم الحديد والصلب، أو سهم المصرية للاتصالات)؟، ولو كان هذا الرأي صوابًا: فلماذا يحصل حامل السهم على عائد من الشركة؟ كما لا يفسر هذا الرأي أنه إذا كانت الصكوك عروضًا تجارية فلماذا تتفاوت قيمة الأسهم من شركة إلى شركة أخرى؟

وهذا القول مُجانب للصواب؛ لأن السهم بغير الشركة لا قيمة له، كما أن القيمة الحقيقية للسهم لا تتحدد إلا بعد تصفية الشركة وبيع كافة موجوداتها وسداد ديونها.

وقد ظهر عوار هذا القول بصدور القانون رقم ٩٣ لسنة ٢٠٠٠م بإصدار قانون الإيداع والقيد المركزي للأوراق المالية، والذي أزال الكيان المادي للأسهم وحوّلها إلى قيد حسابي، وهو ما يعني أنه لا يجوز القول بأن السهم صك، وهذا أمر لم ينتبه له أغلب فقهاء الشريعة؛ إذ لا زالوا ينظرون إلى السهم باعتباره الصك المكتوب الذي يثبت حق المساهم في الشركة، ونادرًا ما تجد من ينتبه إلى أنه قيد حسابي وليس صكًا.

السهم لا يمثل حصة شائعة في شركة المساهمة:

كان الفقه التقليدي ينظر إلى السهم باعتباره حق الشريك في الشركة، وأيضًا الصك المثبت لهذا الحق، ولذا عرفه بعض فقهاء القانون بأنه: "صك يُمثل حصة المساهم في رأس مال الشركة".

وكان هذا التصور هو السائد قديمًا، ولكن تغيّر تمامًا على المستوى القانوني، ولكن لم يستوعبه كثيرون من فقهاء الشريعة، فالسهم الآن هو: "قيد حسابي، يمثل حق دائنية غير محدّد المقدار، يتم حوالته بالطرق التجارية، ويخوّل لصاحبه حقوقًا معينة قِبل الشركة التي أصدرته".

وحق الدائنية هذا يخوّل للمساهم الحق في الحصول على نسبة من الأرباح، والاشتراك في الإدارة عن طريق حضور الجمعية العامة والتصويت، كما يعطيه الحق في الحصول على ما يقابل السهم من ناتج تصفية أموال الشركة عند انقضائها، إلا أنه يُلاحظ أن هذا الحق غير محدد المقدار؛ حيث لا يمكن تحديد قيمة ما يخص السهم في موجودات الشركة إلا عند تصفيتها، وهذا أمر يؤكده فقهاء القانون بقولهم: إن القيمة الحقيقية أو الفعلية للسهم هي القيمة التي يمثلها السهم في صافي أصول وموجودات الشركة، وهذه القيمة الحقيقية أو الفعلية لا تظهر إلا عند تصفية الشركة وتسوية ديونها.

وإذا كان بيع السهم هو بيع لحصة شائعة في موجودات الشركة، فلماذا لا يستطيع دائنو المساهم التنفيذ على أموال الشركة أو على حصته الشائعة في الشركة؟ والجواب: لأن موجودات الشركة هي ملك للشركة نفسها وليس للمساهم، وأن المساهم لا يبيع حصة شائعة في موجودات الشركة، ولا يصح القول بذلك مطلقًا. ولبيان ذلك فلا بد أن نوضحه على النحو التالي:

اكتساب شركة المساهمة للشخصية القانونية:

أكدت المادة ٥٢ من القانون المدني على اكتساب

الشركات التجارية والمدنية شخصية اعتبارية مستقلة وذمة مالية مستقلة لا تختلط بالذمم المالية للشركاء، كانت شركة المساهمة التي تطرح أسهمها للاكتتاب العام تكتسب الشخصية المعنوية وفقًا للمادة الثانية من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤م من وقت صدور القرار الجمهوري بتأسيس الشركة، ولكن بصدور القانون رقم ١٥٩ لسنة ١٩٨١م أصبحت شركات المساهمة والتوصية بالأسهم والمسؤولية المحدودة الخاضعة لأحكام هذا القانون لا تكتسب الشخصية المعنوية-لا بين المساهمين ولا في مواجهة الغير- إلا بعد مضي خمسة عشر يومًا من تاريخ قيدها في السجل التجاري، ومن ثم تعتبر الشركة المساهمة بمجرد تكوينها شخصًا اعتباريًا، ولكن لا يحتج لهذه الشخصية على الغير إلا بعد استيفاء إجراءات النشر التي يقررها القانون.

ويستمر وجود الشخص المعنوي وما يترتب عليه من آثار طول مدة بقاء الشركة، ولا تنقضي الشخصية المعنوية بانقضاء الشركة وانحلالها.

وقيد شركات المساهمة في السجل التجاري يعني أن الشركة لم تكتسب الشخصية المعنوية فقط؛ وإنما يعني أيضًا أنها اكتسبت بقيدها في السجل التجاري صفة التاجر.

استقلال الذمة المالية للشركة عن الذمة المالية للشركاء:

أهم أثر يترتب على اكتساب الشركة للشخصية المعنوية هو تمتع الشركة بذمة مالية مستقلة عن ذمم الشركاء، ولا نبالغ إذا قلنا: إن هذه هي أهم نتيجة مترتبة على اعتبار الشركة شخصًا معنويًا، فيكون للشركة حقوقها والتزاماتها الخاصة بها التي لا تختلط بحقوق الشركاء والتزاماتهم، ومن ثَم فلها ذمة مالية مستقلة، إذ بغير هذا الفصل بين ذمة الشركة وذمم الشركاء لا يكون في الإمكان تحقيق الغرض الذي وُجدت الشركة من أجله، فهذا الاستقلال ضروري لتحقيق ذلك، فتتلقى الشركة الحصص التي يقدمها الشركاء لتستقر في ملكها ولا يبقى لهم سوى حق لدى الشركة في الحصول على نصيب من الربح أثناء قيامها، ونصيب من موجوداتها بعد تصفيتها.

ومن أهم الآثار التي تترتب على اكتساب الشركة للشخصية المعنوية، ووجود ذمة مالية مستقلة للشركة: هو خروج رأس المال المقدم من المساهمين من ذمتهم المالية ودخوله في الذمة المالية للشركة؛ حيث يصبح رأس مال الشركة هو الضمان العام للمتعاملين مع الشركة. فيترتب على وجود ذمة مالية مستقلة للشركة خروج رأس المال المقدم من المساهمين من ذمتهم المالية ودخوله في الذمة المالية للشركة والتي تمتلك رأس المال المقدم من المساهمين، فبمجرد أن يقدم الشركاء رأس المال للشركة تنتقل ملكيته إلى ذمة الشركة، ويعتبر أول قيمة تتملكها الشركة، ويمثل الجانب الإيجابي لذمتها المالية، ولكنه في الوقت نفسه يستقر في الجانب السلبي للذمة المالية للشركة، وذلك باعتباره دَيْنًا عليها قِبَل الشركاء، وعلى ذلك فإن رأس المال المقدَّم من المساهمين يصبح ملكًا للشركة بلا خلاف في ذلك بين الفقه والقضاء، فلا تعتبر أموال الشركة ملْكًا شائعًا بين الشركاء، بل هي مملوكة ملكية خاصة للشركة.

المساهمون دائنون بحق شخصي للشركة وليسوا مُلاكا على الشيوع:

ومن الآثار المهمة المترتبة على الذمة المالية المستقلة للشركة: أن يصبح المساهمون دائنين بحق شخصي للشركة، كما يترتب على ذلك امتناع المقاصة بين ديون الشركة وديون الشركاء، ولا يترتب على إفلاس الشركة إفلاس الشركاء.

فلا يستقيم القول بأن المساهم حينما يقوم بالتصرف في الأسهم التي يمتلكها فإنه يبيع حصة شائعة في أصول وموجودات الشركة؛ لأنه يترتب على كون الشركة ذات شخصية معنوية مستقلة عن أشخاص الشركاء أن حصة المساهم خرجت عن ملكه وأصبحت مملوكة للشركة؛ حيث انتقلت

حصة الشريك إلى الشركة وتملكتها وتحول هو إلى دائن للشركة بحق شخصي احتمالي، ولا خلاف بين فقهاء القانون أن هذا المال قد خرج من ملك المساهم، واستقر في ملك الشركة، ولا يكون للمساهم بعد سداد حصته إلا حق دائنية قِبَل الشركة، وهذا الحق من طبيعة منقولة حتى ولو كانت أموال الشركة تشمل عقارات، بل ولو كانت الحصة التي اشترك بها المساهم حصة عينية.

فبدفع المساهم لحصته في الشركة يصبح دائنًا للشركة بحق يتمثل في حصة من موجودات الشركة عند تصفيتها توازي ما يملكه من أسهم، وحق الدائنية هذا احتمالي، يعبر عنه كبار فقهاء القانون الفرنسي مثل "جورج ريبير"، و"رينه روبلو" بأنه بمثابة دين مشكوك فيه، قد يحصله صاحبه وقد لا يحصله.

وهذا الحق من طبيعة منقولة، ولو كانت حصة المساهم عينية؛ فالأسهم تمثل حقوقًا شخصية للمساهم قبل الشركة، وهي بهذه المثابة تُعدَ أموالاً منقولة، ولو كانت أموال الشركة كلها أموالاً عقارية (كأن يكون السهم في شركة عقارات). بل ولو كانت حصة الشريك التي ساهم بها في الشركة المساهمة عقارًا فلا يجوز له مطلقًا استردادها عينًا. فملكية السهم تستقل عن ملكية الأصول والأعيان التي تملكها الشركة، فالحصص المقدمة من المساهمين انتقلت على سبيل التمليك إلى الذمة المالية المستقلة للشركة، ويفقد المساهمون كل حق عيني لهم فيها، وإذا كانت حقوق دائني الشركة بأموال الشركة، فإن المساهمين كدائنين شخصيين ليس لهم حقوق على أموال الشركة إلا بعد تصفية موجوداتها، وقبل ذلك لا يجوز لهم أخذ اختصاص أو رهن على مال الشركة ولا الحجز على هذا المال. وهو ما يعني أن المال المملوك للشركة لا يعتبر ملكا شائعًا بين الشركاء، بل هو ملك للشركة ذاتها ما دامت الشركة قائمة.

فالسهم عبارة عن التزامات شخصية للمساهم في حق الشركة، فالشركة مدينة للمساهم بكافة الحقوق التي ينتجها السهم، وهو ما يعني أن حامل السهم ليس له حق مباشر على موجودات الشركة، وانما تربطه بالشركة حق دائنية (التزامات شخصية)، وهذا الحق من طبيعة منقولة ولو كانت حصة المساهم عينية، وهو ما لا يصح معه القول بأن المساهم يمتلك حصة شائعة في موجودات الشركة.

بيع السهم في حقيقته هو حوالة حق الدائنية:

بائع السهم لا يترتب عليه الالتزامات المترتبة على عقد البيع، بل ولا يمكن مطالبته بأداء ما ترتب على عقد البيع من آثار، فلا يتصور مطالبته بالأرباح ولا مطالبته بأداء ما ينجم عن تصفية موجودات الشركة عند انتهاء أجلها، فالملتزم بهذا هو الشركة دون سواها رغم أنها ليست طرفًا في العقد، بل ولا يمكن إلزام بائع الأسهم بالتضامن مع الشركة في التزاماتها، وهو الأمر الذي يؤكد أن بيع الأسهم ليس بيعًا مطلقًا، وانما هو في حقيقته حوالة للحقوق التي يخوّلها السهم لقاء عوض مالي يحصل عليه المحيل (المساهم أو صاحب السهم).

وهذا أمر لم يختلف فيه الفقه ولا القضاء؛ فالمساهم لا يبيع هذه الأسهم إلى شخص آخر، وانما هو في الحقيقة يُحيل حقوقًا مالية منه إلى دائن آخر لقاء عوَض يحصل عليه، مع بقاء شخص المدين وهو الشركة ثابتًا دون تغيير؛ حيث تغير الدائن فقط، وهذه الحوالة تتم بالطرق التجارية وليس عن طريق حوالة الحق المنصوص عليها في القانون المدني.

ولذلك نجد المشرّع المصري في القانون ٩٥ لسنة ١٩٩٢م يُعبّر عن بيع الأوراق المالية بلفظة "تداول"؛ فنصت المادة ١٥ منه في فقرتها الأولى على أنه: "يتم قيد وتداول الأوراق المالية في سوق

تسمى بورصة الأوراق المالية". كما نصت المادة ١٧ من ذات القانون في فقرتها الأولى على أنه: "لا يجوز تداول الأوراق المالية المقيدة في أي بورصة خارجها والا وقع التداول باطلاً".

فبيع السهم هو في حقيقته حوالة للحق الشخصي (حق الدائنية) الذي لحامل السهم على الشركة إلى شخص آخر يقبل الحلول محله في الشركة بنفس الشروط السالفة، فيكون له الحق في الحصول على حصة من الأرباح إن تحققت، ويكون له حق الاشتراك في الإدارة عن طريق المشاركة في الجمعية العامة للشركة، ولكن لا يحق له المطالبة بقيمة أسهمه إلا بعد انتهاء أجل الشركة وتصفيتها، وما يميز هذه الحوالة أنها تتم بغير رضا المدين وبغير الطريق المنصوص عليه في القانون المدني.

فالمشرع اختار المبدأ الذي سارت عليه التشريعات الحديثة التي تُجيز أن يظل المدين بالحق المحال به بمعزل عن تعاقد المحيل والمحال له مراعيةً في ذلك أن المدين يستوي لديه استبدال دائن بدائن آخر، وبالتالي فإن الحق به ينتقل بمجرد انعقاد الحوالة دون حاجة إلى نفاذها في حق المدين المحال عليه.

ولما كان السهم هو مجموعة الحقوق الشخصية التي تمنح للمساهمين في شركة المساهمة، فينحصر حق حامل السهم في الحصول على الأرباح إن تحققت، وهذا حق دائنية يفيد حقًا احتماليًا في الأرباح، فضلاً عن الحق في الحصول على جزء من عائد تصفية الشركة عند انقضاء أجلها وقيام المصفي بتصفيتها، وبعد اعتماد تقرير تصفيته تنتهي شخصية الشركة المعنوية آنذاك ويسترد حملة الأسهم ما يخصهم من عائد التصفية، وهذا العائد مجهول لا يعلمه أحد، فقد يكون قليلاً، وقد يكون كثيرًا، وقد يساوي قيمة السهم الاسمية وقد لا يساويها.

وهو ما يجعل بيع الأسهم غير معلوم وغير مقدَّر وغير مقدور على تسليمه، فمحل التعامل ليس حصة من الشركة، فحامل الأسهم لا يبيع حصة شائعة في الشركة، وانما يحيل حقًا مستقبليًا له قبل الشركة ويأخذ عوضًا عن ذلك.

وحق الدائنية الذي يترتب لحامل السهم لدى الشركة مضاف إلى أجل، فهذه الالتزامات كلها في المستقبل، فلا يجوز المطالبة بهذا الحق إلا عند انقضاء مدة الشركة، فالتزام الشركة غير متحقق في التوّ والحال؛ لأنه التزام مضاف إلى أجل، وقبل ذلك يكون الالتزام غير مستحق الأداء.

وفيما يتعلق بمحل الالتزام والمتمثل في حصول حامل السهم على جزء من عائد تصفية الشركة عند انقضاء أجلها، فإن محل الالتزام غير معين بل وغير قابل للتعيين، فلا يمكننا تحديد قيمة السهم إلا عند تصفية الشركة، فلا يمكن وقت بيع السهم معرفة موجودات الشركة عند تصفيتها ولا قيمتها ولا ما سيخص حامل السهم منها حينئذ.

خطأ كثير من الفقهاء المعاصرين في تكييف الأسهم:

جانب كثير من الفقهاء الصواب عند تكييف الأسهم، لمخالفتهم للأصول القانونية المستقرة المتفق عليها، فقد ذهب جماهير الفقهاء المعاصرين إلى أن الأسهم حصة شائعة في موجودات الشركة! وما ذهب إليه هؤلاء الفقهاء غير صحيح مطلقًا؛ لأن فقهاء القانون جميعًا دون استثناء اتفقوا على أن موجودات الشركة هي ملك للشركة وليست مملوكة للمساهمين.

وهو ما لا يتصور أن يبيع المساهم حصة شائعة في موجودات الشركة حال أنه لا يملكها

فالذي يبيع الأسهم ويحصل على ثمن نقدي لا يملك ما يقابل هذا السهم؛ لأنه مملوك للشركة وليس للمساهم، وهو ما يعني أنه يبيع ما لا

يملك، والصواب أنه يُحيل حقًا له لدى الشركة إلى دائن آخر.

بل إن معرفة ما يخص حامل السهم لا يمكن تحديده، وإنما يظل معلقًا على بيع موجودات الشركة وتصفيتها عند انتهاء أجل الشركة الذي لا يعلمه بائع الأسهم أو مشتريها، وإنما يكون ذلك بعد تصفية الشركة.

بعض الإشكاليات المتعلقة بتداول الأسهم:

من الإشكاليات المتعلقة بالأسهم: القول بأن المساهم شريك بشركة المساهمة التي أصدرت هذه الأسهم، حال أن من يقوم بشراء الأسهم وبيعها لا يحصل على صورة من عقد الشركة؛ بل ولا يعلم شيئًا عن النظام الأساسي للشركة، فكيف يكون شريكًا؟... بل لا نبالغ إذا ما قلنا: إن أغلب المساهمين لا يعلمون ما هي المدة المحددة للشركة.

فضلاً عن أن حامل السهم لا يملك المطالبة بمقابل السهم إلا عند انتهاء أجل الشركة وبيع موجوداتها، وهو ما لا يسوغ القول بأن المساهم شريك بالشركة.

فملكية السهم تستقل عن ملكية الأصول والأعيان التي تملكها الشركة، فالحصص المقدّمة من المساهمين انتقلت على سبيل التمليك إلى الذمة المالية المستقلة للشركة، وفقد المساهمون كل حق عيني لهم فيها، وإذا كانت حقوق دائني الشركة تتعلق بأموال الشركة، فإن المساهمين كدائنين شخصيين ليس لهم حقوق على أموال الشركة إلا بعد تصفية موجوداتها، وقبل ذلك لا يجوز لهم أخذ إختصاص أو رهن على مال الشركة ولا الحجز على هذا المال. وهو ما يعني أن المال المملوك للشركة لا يُعتبر ملكًا شائعًا بين الشركاء، بل هو ملك للشركة ذاتها ما دامت الشركة قائمة، والشركة تظل لها شخصيتها المعنوية طوال مدتها، بل وحتى يتم تصفيتها تظل مالكة لرأس مالها المتمثل في الأسهم، وهو ما ينفي تمامًا الزعم بأن المساهم مالك لحصة شائعة في موجودات الشركة.

وما يزيد الأمر صعوبة أن السهم يصدر بقيمته الاسمية، ثم يتم تداوله بقيمته السوقية، حال أن قيمة السهم الحقيقية لا تتحدد إلا بعد تصفية الشركة ومعرفة موجوداتها، وهو الأمر الذي يعني أن القيمة الحقيقية للسهم المبيع (محل العقد) مجهولة؛ فهي لا تُعرَف إلا بعد تصفية الشركة، وهو ما يجعل هذه الصورة من المعاملات تندرج تحت بيوع الغرر.

كما أن مآل هذا السهم هو مبلغ نقدي يحصل عليه حامل السهم بعد بيع موجودات الشركة وتصفيتها، وهو ما يمثل بيع النقد بالنقد من غير تماثل ولا تقابض، وهو ما يتحقق معه الربا بنوعيه؛ ربا الفضل لعدم التماثل بين القيمة التي سيسفر عنها سعر السهم في المستقبل وبين سعر الشراء، ولو قلنا بتماثلهما، وهذا فرض نادر، فإننا لن نسلم من ربا النسيئة لعدم التقابض في المجلس.

فضلاً عن أن ذلك ينبئ عن الخطأ الواقع حينما نقول: إن الحكم على الأسهم يكون بالنظر إلى نشاط الشركة؛ لأن مردَ ذلك إلى الزعم بأن السهم يمثل حصة شائعة في موجودات الشركة، وهذا قول قد بيَّنَّا فيما سلف مجانبته للصواب.

فضلاً عما تمثله المعاملة من مقامرة ظاهرة؛ فقد يحصل حامل السهم على أكثر من ثمنه، وقد يحصل على أقل من ثمنه، وهي كلها إشكالات تحتاج إلى إعادة النظر في نظام الشركات المساهمة برُمّته من منظور فقهي إسلامي، لبيان هل يتفق هذا النظام القانوني مع الفقه الإسلامي أم يتنافر معه؟ وهو ما نرجو أن يتسنى لنا أن نعرض له في وقت قابل إن شاء الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدعاء في الصلاة

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فعن عطاء بن السائب، عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاةً فأوجز فيها. فقال له بعض القوم: لقد خفَّفت -أو أوجزت- الصلاة! فقال: أمَا على ذلك فقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فلمَّا قام تبعه رجل من القوم - قال عطاء: هو أبي، غير أنه كنَّى عن نفسه- فسأله عن الدعاء، ثم جاء فأخبر به القوم: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي. اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا يبيد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

وعن قيس بن عباد قال: صلى عمار بن ياسر بالقوم صلاة أخفَّها فكأنهم أنكروها. فقال: ألم أتمَّ الركوع والسجود؟ قالوا: بلى. قال: أما إني دعوت فيها بدعاء كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به.

اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الإخلاص في الرضا والغضب، وأسألك نعيمًا لا ينفد وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين. (رواهما أحمد والنسائي)وصححه الألباني.

رواة الحديث:

عطاء بن السائب: ساء حفظه قليلاً في أواخر عمره، ولكنه كان من أضبط الناس لحديث أبيه السائب. والحديث صحيح لأنه من رواية حماد بن زيد عن عطاء، وهي قبل الاختلاط كما أفاد النقاد.

قيس بن عباد: تابعي جليل متفق على إمامته، وقد روى له أصحاب الكتب الستة. وله قصة مشهورة مع

الصحابي الجليل عبد الله بن سلام؛ لعلنا نتعرض لها بعد ذلك.

عمار بن ياسر: صحابي جليل من السابقين الأولين، وأمه سمية، أول شهيدة في الإسلام.

قال ابن القيم: "جمع في هذا الدعاء بين أطيب شيء في الدنيا وهو الشوق إلى لقاء الله، وأطيب شيء في الآخرة، وهو النظر إلى وجهه الكريم سبحانه. ولما كان كمال ذلك وتمامه موقوفًا على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين؛ قال: "في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة".

ولما كان كمال العبد في أن يكون عالمًا بالحق متبعًا له مُعلِّمًا لغيره مرشدًا له؛ قال: "واجعلنا هداة مهتدين".

ولما كان الرضى النافع المحصل للمقصود هو الرضى بعد وقوع القضاء لا قبله؛ فإن ذلك عزم على الرضى فإذا وقع القضاء انفسخ ذلك العزم سأل الرضى بعده، فإن المقدور يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه، والرضى بعد وقوعه. فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما.

ولما كانت خشية الله عز وجل رأس كل خير في المشهد والمغيب: سأله خشيته في الغيب والشهادة.

ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحق في رضاه فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضًا رضاه في الباطل؛ سأل الله عز وجل أن يُوفِّقه لكلمة الحق في الغضب والرضى.

ولهذا قال بعض السلف: لا تكن ممن إذا رضي أدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب أخرجه غضبه من الحق.

ولما كان الفقر والغنى بَلِيَّتَيْن ومِحْنَتين يبتلي الله بهما عبده؛ ففي الغنى يبسط يده وفي الفقر يقبضها: سأل الله عز وجل القصد في الحالتين، وهو التوسط الذي ليس معه إسراف ولا تقتير.

ولما كان النعيم نوعين: نوعًا للبدن، ونوعًا للقلب، وهو قرة العين وكماله بدوامه واستمراره؛ جمع بينهما في قوله: "أسألك نعيمًا لا ينفد وقرة عين لا تنقطع".

ولما كانت الزينة زينتين: زينة البدن وزينة القلب وكانت زينة القلب أعظمهما قدرًا وأجلّهما خطرًا، وإذا حصلت زينة البدن على أكمل الوجوه في العقبى سأل ربه الزينة الباطنة؛ فقال: "زيِّنا بزينة الإيمان".

ولما كان العيش في هذه الدار لا يبرد لأحد كائنًا من كان، بل هو محشو بالغُصص والنكد، ومحفوف بالآلام الباطنة والظاهرة؛ سأل "برد العيش بعد الموت".

والمقصود أنه جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا وأطيب ما في الآخرة؛ فإن حاجة العباد إلى ربهم في عبادتهم إياه وتأليههم له كحاجتهم إليه في خلقه لهم ورزقه إياهم، ومعافاة أبدانهم وستر عوراتهم وتأمين روعاتهم، بل حاجتهم إلى تأليهه ومحبته وعبوديته أعظم؛ فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم، ولا صلاح لهم ولا نعيم ولا فلاح ولا لذة ولا سعادة بدون ذلك بحال، ولهذا كانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات.

شرح معاني ألفاظ الحديث

"اللّهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق": سأل الله عز وجل متوسلاً بعلم الله عز وجل للغيب وقدرته على الخلق؛ كما في دعاء الاستخارة، وهو أرجى في قبول الدعاء، ومن أكبر وسائل القبول.

"أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي": بأن تحييني حياة طيبة، يغلب فيها خيري على شرّي، عاملاً بشريعتك، متبعًا لسنة نبيك. وفي هذا تفويض كامل للّه تعالى، وتقديم اختياره تعالى على اختيار نفسه، وفيه حُسن الظن بالله جل وعلا وثقة العبد

بكمال حكمته.

"وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي": بأن تغلب سيئاتي على حسناتي، أو أن تقع الفتن المضلة والفساد في الدين، فيكون الموت خيرًا لي لما فيه من الراحة، والسلامة من الضلال.

لقد ورد النهي عن تمني الموت لضُرٍّ نزل بالعبد؛ ففي الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يتمنَّى أحدُكُم المَوْتَ؛ إمَّا مُحسنًا فلعلَّهُ يزْدادُ، وإمَّا مُسيئًا فلعلَّهُ يسْتَعْتِبُ".

فالعبد إن كان محسنًا فحياته يُرجى أن يزداد بها إحسانًا، وإن كان مسيئًا فإنه يستعتب يسترضي ربه بالتوبة، وطلب المغفرة.

وسئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أيّ الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله. وتسبيحة في صحيفة المؤمن خير له من الدنيا وما فيها.

ولهذا قيل: "لساعة تعيش فيها تستغفر الله عز وجل خير لك من موت الدهر.

ولقد مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرٍ فقال: من صاحب هذا القبر؟ فقالوا: فلان فقال صلى الله عليه وسلم: "ركعتان أحب إلى هذا من بقية دنياكم". صححهما في صحيح الجامع.

وفي رواية: "ركعتان مما تحقرون وتنفلون، يزيدها هذا في عمله، أحب إليه من بقية دنياكم".

لكن إذا هجمت الفتن المضلة في آخر الزمان فالموت على بساط العافية خير. وفي الحديث: "وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون". (صحيح الترغيب والترهيب).

وفي الدعاء المأثور: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خيرٍ، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

"أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى":

عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات؛ فذكر هذه الخصال الثلاث المنجيات. والمهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

فأما خشية الله في الغيب والشهادة؛ فأن يخشى الله سرًا وإعلانًا وظاهرًا وباطنًا، وقد مدح الله من يخافه بالغيب؛ فقال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ» (الملك: ١٢)؛ والموجب لخشية الله تعالى في السر والعلانية: قوة الإيمان بالله وبوعده ووعيده، والمراقبة لله، والعلم بأنه مطلع على قلوب عباده وأعمالهم.

"وأسألك كلمة الحق في الرضى والغضب": سأل ربّه تعالى القول بالحق في جميع أحواله، في حال غضبه، وفي حال رضاه، وهذا قليل نادر جدًا؛ فإن أكثر الناس يُخرجه الغضب عن قول الحق وربما يُجامل ويحابي عند رضاه.

"وأسألك القصد في الغنى والفقر": بأن أكون مقتصدًا معتدلاً في حال غناي وفقري، فلا أنفق في الغنى بسرف، ولا طغيان، ولا أضيّق في حال فقري خوف نفاد الرزق؛ «وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا» (الفرقان: ٦٧)؛ والقوام هو القصد والتوسّط، في كل الأمور.

"وأسألك نعيمًا لا ينفد": أي أسألك نعيمًا لا ينقضي، ولا ينتهي، وليس ذلك إلا نعيم الآخرة؛ قال تعالى: «إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ» (ص: ٥٤).

أما نعيم الدنيا فهو لا يبقى، إما أن يتركه العبد ويموت، وإما أن يزول عنه مفتقرًا إليه. كما أن الدنيا كلها لا تبقى، وفي الصحيح: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في جهنم غمسة، ثم يقال له: هل رأيت

نعيمًا قط؟ فيقول: لا".

وفي الدعاء: "أسألك الدرجات العلى والنعيم المقيم": نسألك اللهم نعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد، في أعلى جنة الخلد.(حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة)

"وأسألك قرة عين لا تنقطع": قرة العين من جملة النعيم في الدنيا والآخرة؛ فالنعيم منه ما هو منقطع، ومنه ما لا ينقطع، فمن قرّت عينه بالدنيا فقرّة عينه منقطعة، وسروره فيها زائل؛ لأن لذاتها مشوبة بالفجائع والمنغصات، فلا تقرّ عين المؤمن في الدنيا إلا بالله عز وجل وذكره ومحبته والأنس به، والمحافظة على طاعته، فإنّ من قرّت عينه بالله جلّ وعلا، فقد حصلت له قرة عين لا تنقطع في الدنيا ولا في الآخرة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ"، وقرة العين في الآخرة تشمل النعيم في البرزخ، وفي الجنة.

"وأسألك الرضى بعد القضاء": لأنه حينئذ تتبين حقيقة الرضا، وأما الرضى قبل القضاء، فهو عزم ودعوى من العبد، فإذا وقع القضاء، فقد تنفسخ العزائم.

وسؤال الله الرضى بعد القضاء يتضمن الرضا بما فيه من خير أو شر، فأما في الخير فيرضى ويقنع به ولا يتكلف في طلب الزيادة، ويشكر على ما أوتي منه.

وأما في الشر فيصبر ولا ينزعج ولا يتسخّط، والرضى بالقضاء مقام عظيم، من حصل له فقد رضي الله عنه قال تعالى: «رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ» (التوبة: ١٠٠).

"وأسألك بَرْدَ العيش بعد الموت": أي أسألك الراحة بعد الموت، ويكون ذلك برفع الروح إلى الجنان في عليين، وهذا يدل على أن العيش وطيبه، وبرده، إنما يكون بعد الموت للمؤمن، فإن العيش قبل الموت مُنغّصٌ لما فيه من الهموم والغموم، والمؤمن يستريح بالموت من تعب الدنيا والفاجر يستريح منه البلاد والعباد.

"وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك": أطيب شيء في الدنيا هو الشوق إلى لقاء الله عز وجل، وأطيب شيء في الآخرة هو النظر إلى وجه الله الكريم؛ وفي الصحيح: "إذا دَخلَ أهلُ الجنّة الجنّة، يقولُ اللهُ تبارك وتعالى: تُريدُون شيئًا أزيدُكم؟ فيقولُون: ألمْ تُبيِّضْ وُجوهنا؟ ألمْ تُدخلْنا الجنّة وتُنجِنا من النّارِ؟ قال: فيَكْشفُ الحِجاب، فما أُعْطوا شيْئًا أحبّ إليْهمْ من النّظرِ إلى ربِّهمْ عز وجل".

"في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مُضلة": أي أسألك شوقًا لا يوجد فيه ما يُضرني في ديني، ولا في دنياي بأن أحيا في عافية من الضرّ والبلاء الذي لا صبر لي عليه، ومن الفتن المضلة، نعوذ بالله من الضلال ومن الخذلان.

"اللهم زينا بزينة الإيمان": زيّن بواطننا وظواهرنا بزينة الإيمان؛ فزينة القلب بالاعتقاد الصحيح، وزينة اللسان بالذكر والقرآن، وزينة الظاهر بالأعمال الصالحة، فإن الزينة الكاملة النافعة الدائمة، هي زينة الإيمان والتقوى في القلب والبدن.

"واجعلنا هداة مهتدين": بأن نهتدي في أنفسنا، ونكون سببًا في هداية غيرنا، وهذا من أفضل الدرجات

قال تعالى: «وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» (الأنبياء: ٧٣)، وفي الدعاء: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهمّ اهدنا فيمنْ هديْت، اللهم اهدنا واهد بنا، اللهم إنا نسألك السداد والرشاد.

من أساليب التربية

إعداد **الشيخ/ عادل شوشة**
فرع المنصورة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن قضية التربية قضية من أخطر القضايا على الإطلاق في المنظور الإسلامي، وهي قضية القضايا إن جاز لنا التعبير؛ لأنها تُسهم في بناء الأجيال؛ لذا وجب على المربين أن يعرفوا قدرها وطرق إنجاحها.

ومن أهم ما يسهم في نجاح العملية التربوية: إتقان المربي لأساليب التربية؛ ولذا نشير فيما يلي إلى أهم أساليب التربية التي ينبغي أن تتبع:

التربية بالعادة:

من الأمور المقررة في شريعة الإسلام أن الولد مفطور منذ خلقته على التوحيد الخالص والدين القيم والإيمان بالله؛ مصداقًا لقوله تبارك وتعالى: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (الروم: ٣٠)، ومصداقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: "كُلُّ مَوْلُود يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَة، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه، أَوْ يُنَصِّرَانه، أَوْ يُمَجِّسَانه، كَمَثَلِ الْبَهِيمَة تُنْتَجُ الْبَهِيمَة، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاء (صحيح البخاري: ١٣٨٥).

ومن هنا يأتي دور التعويد والتلقين والتأديب في نشأة الولد.

وبما أن منهج الاسلام في إصلاح الصغار يعتمد على شيئين أساسيين:

١- التلقين: ونقصد به الجانب النظري في الإصلاح والتربية.

٢- التعويد: ونقصد به الجانب العملي في التكوين والإعداد.

ولما كانت قابلية الطفل وفطرته في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أيّ سن آخر أو من أيّ مرحلة أخرى؛ كان لزامًا على المربين من آباء وأمهات ومعلمين أن يركزوا على تلقين الولد الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة

وكمثال على ذلك: أمر الرسول عليه الصلاة والسلام المربين أن يلقّنوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة، قال عليه الصلاة والسلام: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ

عليهَا وَهُمْ أبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ" (أبو داود ٤٩٥، وصححه الألباني)، وهذا هو الجانب النظري.

أما الجانب العملي فهو تعليم الولد أحكامها وعدد ركعاتها وأركانها وسننها، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة، وأدائها في المسجد جماعة، حتى تصبح الصلاة في حقه خُلقًا وعادةً.

التربية بالرأفة والرحمة:

ويظهر هذا الأسلوب واضحًا جليًّا في وصية لقمان لابنه؛ حيث تكرر في وصايا لقمان لابنه قوله: (يا بُنَيَّ)؛ وذلك في قوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » (لقمان: ١٣)، وقوله تعالى: « يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » (لقمان: ١٦)؛ حيث يعد هذا الأسلوب من أساليب المنهج العاطفي الذي يرتكز على القلب ويحرك الشعور والوجدان.

حيث استخدم كلمة طيبة مؤثرة هي مناداته (يا بني)، ومعلوم ما لمثل هذه الكلمة من أثر في إظهار رحمة الأب بابنه، وأنه قبل أن يتوجه إليه بالنصيحة قال له (يا بني) إظهارًا للعلاقة الحانية التي تربطه بابنه، وأنه ما أراد لولده إلا الخير، وهذا الأسلوب من الأساليب التي اعتنى بها علماء النفس؛ إذ إن التفاعل التربوي الذي هو حدوث اقتناع وتجاوب نفسي بين طرفي العملية (المعلم والمتعلم) يؤدي لاستجابة الطرف الثاني المعرفية والسلوكية للطرف الأول وللتأثر به، فبقدر ما يقدم الآباء لأبنائهم من عناية ورعاية ونفقة ويبذلون من رحمة وشفقة، بقدر ما يعيد هؤلاء الأبناء هذا العطاء برًّا وطاعةً ومعروفًا وخفضًا للجناح.

[انظر: علم النفس الدعوي، عبد العزيز النغيمشي ص٥.

التربية بالموعظة الحسنة:

وهذا الأسلوب من أساليب المنهج العاطفي؛ إذ يقصد بالموعظة تحريك وجدان المدعو والتأثير على قلبه. وهذا الأسلوب من الأساليب المستخدمة وبكثرة في القرآن الكريم، بل إن الله سبحانه وتعالى وجَّه نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- إلى استخدامه؛ حيث قال: « ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ » (النحل: ١٢٥)، وقد استخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الأسلوب في دعوته، والشواهد من سُنته كثيرة.

ومنها ما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" (سنن الترمذي ٢٦٧٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٤٩).

وقد أورد الإمام البخاري بابًا في كتاب العلم سمَّاه: "باب ما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا"، وكذلك بوّب بابًا آخر يدل على تخصيص النبي -صلى الله عليه وسلم- النساء بالموعظة سماه: "باب عظة الإمام النساء وتعليمهن".

التربية بالمناقشة والحوار:

يعتبر أسلوب الحوار من الأساليب المؤثرة في العملية التعليمية والتربوية عامة وهو من الأساليب القديمة فلا يعني كونها قديمة، أنها ليست صالحة للاستعمال في الوقت الحاضر، بل

على العكس يعتبر من أفضل الأساليب العامة للتربية والتعليم؛ لاستناده على أُسس نفسية سليمة واستخدامه الأسئلة لأغراض تعليمية.

فهدف الحوار الوصول إلى الحقيقة أو أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر حول قضية من القضايا بطريقة تعتمد على العلمية والتعقل ويتفاعل فيها المتعلم مع القواعد الاجتماعية، ويقيم صلاحيتها، ويشارك في تغييرها وتعديلها وتطويرها في قواعد جديدة، وقد ورد في السنة النبوية العديد من الحوارات التربوية الهادفة التي يمكن الإفادة منها في تنمية التفكير العلمي لدى المتعلمين، وذلك من خلال ما يعالجه من قضايا علمية وتربوية وفكرية.

ومنها ما ثبت عَنْ أبي أُمامةَ قال: إنَّ فتًى شابًّا أتى النَّبيَّ صلَّى الله عليْه وسلَّم، فقالَ: يا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لي بالزِّنا. فأقْبَلَ القَوْمُ عليْه فزجَرُوهُ وقالُوا: مَهْ مَهْ. فقالَ: ادْنُهْ فدنا منْهُ قريبًا قالَ: فجَلسَ قالَ: أتُحبُّهُ لأُمِّكَ؟ قالَ: لا واللهِ، جَعلَني اللهُ فداكَ. قالَ: ولَا النَّاسُ يُحبُّونَهُ لأُمَّهاتِهِمْ قالَ: أفتُحبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قالَ: لا واللهِ يا رسُولَ اللهِ، جعلَني اللهُ فداكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يُحبُّونَهُ لبناتِهِمْ قالَ: أفتُحبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قالَ: لا واللهِ، جعلَني اللهُ فداكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يُحبُّونَهُ لأخواتِهِمْ قالَ: أفتُحبُّهُ لعمَّتِكَ؟ قالَ: لا واللهِ، جَعلَني اللهُ فداكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يُحبُّونَهُ لعمَّاتِهِمْ قالَ: أفتُحبُّهُ لخالتِكَ؟ قالَ: لا واللهِ، جعلَني اللهُ فداكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يُحبُّونَهُ لخالاتِهِمْ قالَ: فوضَعَ يدَهُ عليْه وقالَ: اللَّهُمَّ اغْفرْ ذَنْبَهُ، وطهِّرْ قلْبَهُ، وحصِّنْ فرْجَهُ قالَ: فلَمْ يكُنْ بَعْدُ ذلكَ الفتى يلْتفتُ إلى شيْءٍ. (مسند أحمد ٢٢٦٤١، وانظر: السلسلة الصحيحة ٣٧٠).

وفي هذا دليل على استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم لأسلوب الحوار والموازنة العقلية بغرض تعديل السلوك الخاطئ لدى المتعلم.

التربية بالتدرج:

في وصايا لقمان الحكيم لابنه اتبع هذا الأسلوب؛ حيث بدأ أول شيء بأمر العقيدة، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣)؛ لأنه لا يصح الإيمان إلا بترك الشرك، ثم تدرَّج بالأهم فالمهم، فتناول الصلاة ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم الدعوة إلى التحلي بمحاسن الأخلاق، كما في قوله تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِم الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) الآيات.

وقد بينت أُمّنا عائشة رضي الله تعالى عنها الحكمة من تدرُّج الأحكام في القرآن؛ فقالت: إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نزلَ منْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرامُ، ولَوْ نَزَلَ أوَّلَ شَيْءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالُوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولَوْ نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالُوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ علَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وإنِّي لَجَارِيَةٌ ألْعَبُ: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أدْهَى وأَمَرُّ ﴾، ومَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّسَاءِ إلَّا وأَنَا عِنْدَهُ، قالَ: فأخْرَجَتْ له المُصْحَفَ، فأمْلَتْ عليه آيَ السُّورَةِ. (صحيح البخاري ٤٩٩٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: (ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها)، وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف)".

وللحديث بقية إن شاء الله

والحمد لله رب العالمين.

منزلة الصلاة في الإسلام

إعداد **الشيخ صلاح نجيب الدق**
فرع بلبيس

الْحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ، وأَصْحَابِهِ، والتَّابعِينَ لَهُم بإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّين.
أمَّا بَعْدُ: فَإنَّ للصَّلاة في الإسلام -بعد توحيد الله تَعالَى- منزلة رفيعة، لا تُعادِلها منزلة أي عبادة أخرى، ولذا أقولُ وبالله سُبْحَانَهُ وَتَعالَى التوفيق:

(١) الصلاة أول فريضة بعد توحيد الله تعالى:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ) (البينة: ٥)، وعن ابن عباس، رَضيَ الله عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ لمُعَاذ بْنِ جَبَلٍ حينَ بَعثَهُ إلَى الْيَمَنِ: إنَّك سَتأْتي قَوْمًا أهْلَ كتابٍ فَإذا جِئْتَهُمْ فادْعُهُمْ إلَى أَنْ يَشْهَدُوا أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لك بذلك فَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلوَاتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لك بذلك فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لك بذلك فَإيَّاكَ وَكَرَائمَ أمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ. (البخاري حديث ٤٣٤٧، ومسلم حديث١٩)

(٢) افتراض الصلاة على الأمم السابقة.

قَالَ سُبْحَانَهُ عَن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: (رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) (إبراهيم: ٣٧)، وقَالَ تَعَالَى عن موسى وهارون عَلَيْهِمَا السلام:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) (يونس: ٨٧)، وقال الله سُبحانهُ وتعالى عن نبيه عيسى، صلّى الله عليه وسلّم: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) (مريم: ٣٠: ٣١)، وقال سُبحانهُ وتعالى عن إسماعيل، صلّى الله عليه وسلّم: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) (مريم: ٥٤- ٥٥).

(٣) افتراض الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم بدون واسطة:

فمن الأدلة على تعظيم منزلة الصلاة في الإسلام:أن الله تعالى افترضها على نبينا محمد، صلّى الله عليه وسلّم، بدون واسطة أحد من الملائكة الكرام، وذلك حينما عُرج بنبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم، إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة.

عنْ أنسٍ بن مالك، رَضيَ اللهُ عنْهُ، أن رَسُول الله، صلّى الله عليْه وسلّم، قال (وهو يتحدث عن رحلة الإسراء والمعراج): ففرض الله عز وجلّ على أُمّتي خمسين صلاةً. (البخاري حديث ٣٤٩، ومسلم حديث١٦٢). فالله تعالى خفف عدد الصلوات، فصارت خمسًا في العمل وخمسين في الثواب.

(٤) الصلاة أحد أركان الإسلام:

عنْ عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنْهما، أنّ رسُول الله، صلّى الله عليْه وسلّم، قال: بُني الإسْلامُ على خمْسٍ: شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّدًا رسُول الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والحجّ، وصوْم رمضان. (البخاري حديث ٨، ومسلم حديث ١٦)

(٥) الصلاة أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة:

عنْ أبي هريرة، رضيَ اللهُ عنْهُ، أن النّبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: إنّ أوّل ما يُحاسبُ به العبْدُ يوْم القيامة منْ عمله صلاتُهُ فإنْ صلُحتْ فقدْ أفلح وأنْجح، وإنْ فسدتْ فقدْ خاب وخسر، فإنْ انْتقص منْ فريضته شيْءٌ قال الرّبُّ عزّ وجلّ: انْظُرُوا هلْ لعبْدي منْ تطوّعٍ؟ فيُكمّل بها ما انْتقص من الفريضة، ثمّ يكونُ سائرُ عمله على ذلك. (صحيح الترمذي للألباني: ٣٣٧).

(٦) الصلاة أفضل الأعمال بعد التوحيد:

عنْ عبد الله بن مسعود، رضي اللهُ عنْهُ، قال: سألْتُ النّبيّ، صلى الله عليه وسلم: أيّ الأعْمال أحبُّ إلى الله؟ قال: الصّلاةُ على وقْتها. قُلْتُ: ثُمّ أيٌّ؟ قال: ثُمّ برُّ الوالديْن. قُلْتُ: ثُمّ أيٌّ؟ قال: ثُمّ الجهادُ في سبيل الله. (البخاري حديث ٥٢٧، ومسلم حديث ٨٥).

(٧) الصلاة قرة عين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

عن أنس، رضي اللهُ عنْهُ، أن النّبيّ، صلى الله عليه وسلم، قال: حُبّب إليّ من الدُّنْيا النّساءُ والطّيبُ وجُعل قُرّةُ عيْني في الصّلاة. (صحيح النسائي للألباني: ٣٩٤٩).

قال الإمامُ ابن حجر العسقلاني (رحمهُ الله): منْ كانتْ قُرّةُ عيْنه في شيْءٍ فإنّهُ يودُّ أنْ لا يُفارقهُ ولا يخْرُج منْهُ لأنّ فيه نعيمهُ وبه تطيبُ حياتُهُ، وإنّما يحْصُلُ ذلك للعابد بالمُصابرة على النّصب (التعب): فإنّ السّالك غرضُ (هدف) الآفات والفُتُور. (فتح الباري- للعسقلاني- جـ١١- ص ٣٤٥)

(٨) المحافظة على الصلاة آخر وصية لنبينا صلى الله عليه وسلم:

عنْ علي بن أبي طالب، رضي اللهُ عنْهُ، قال: كان

آخرُ كلامِ رَسُولِ اللَّه، صلى الله عليه وسلم، الصَّلاةَ، الصَّلاةَ، اتَّقوا الله فيما ملكتْ أيمانُكمْ. (صحيح أبي داود للألباني حديث: ٤٢٩٥).

(٩) نبينا صلى الله عليه وسلم يأمر الآباء بتعليم أطفالهم الصلاة:

الدليلُ على تعظيم منزلة الصلاة في الإسلام أنَّ النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، أمَرَ الآباءَ بتعليم أبنائهم الصغار الصلاة والمحافظة على إقامتها، مع ضرب الأطفال ضرباً خفيفاً برحمة إذا تهاونوا في تَركها، مع أنهم غير مُكلفين، وذلك حتى يعتادوا على إقامة الصلاة في باقي مراحل حياتهم.

عَنْ عبد الله بن عمرو بن العاص، أنَّ النَّبيَّ، صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قال: مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصَّلاة وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سنين واضْربُوهُمْ عليْها وَهُمْ أَبْنَاءُ عشْرٍ وفرِّقُوا بيْنَهُمْ في المَضاجع. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٤٦٦).

(١٠) الصلاة صلة بين العبد وربه:

عَنْ أبي هُريرة، رَضيَ اللَّه عَنْه، قالَ: مَنْ صلَّى صلاةً لَمْ يقرأْ فيها بِأُمِّ الْقُرآن فهِيَ خداجٌ، ثلاثًا غيْرُ تمام. فقيل لأبي هُريْرة: إنَّا نكونُ وراءَ الإمام. فقال: اقرأْ بها في نفْسك، فإنِّي سمعْتُ رَسُولَ اللَّه، صلَّى اللَّه عليْه وسلَّم، يقُولُ: قالَ اللَّه تعالى: قسمْتُ الصَّلاةَ بيْني وبيْنَ عبْدي نصْفيْن، ولعبْدي ما سأل. فإذا قالَ العبْدُ: (الحمْدُ لله ربِّ العالمين) قالَ الله تعالى: حمدني عبْدي. وإذا قال: (الرَّحمن الرَّحيم) قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبْدي. وإذا قال: (مالك يوْم الدِّين) قال: مجَّدني عبْدي. وقال مرَّةً فوَّض إليَّ عبْدي. فإذا قال: (إيَّاك نعْبُدُ وإيَّاك نسْتعينُ) قال هذا بيْني وبيْن عبْدي ولعبْدي ما سأل فإذا قال: (اهدنا الصِّراط المُسْتقيم صراط الَّذين أنعمْتَ عليْهمْ غيْر المغْضوب عليْهمْ ولا الضَّالِّين)، قال: هذا لعبْدي ولعبْدي ما سأل. (مسلم حديث ٣٩٥).

(١١) ثناء الله على الخاشعين في الصلاة:

مما يدلُ على المنزلة العالية للصلاة أن اللَّه سُبْحانَهُ عندما مَدَحَ عباده المؤمنين، بدأ بذكْر الصَّلاة قبل أي عملٍ آخر: قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ) (المؤمنون: ١: ٢)، وقال تعالى: (إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ) (المعارج: ١٩: ٢٣).

(١٢) تحذير المسلم من التهاون بالصلاة:

مَنْزلَةُ الصَّلاة عظيمةٌ، ويدل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة من التحذير الشديد من إضاعة الصلاة والتهاون في أدائها.

قال اللَّه سُبْحانَهُ وتعالى: (فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) (مريم: ٥٩).

وعَنْ عُمَر بْن عَبْد الْعَزيز (رحمهُ الله) قال: لَمْ يكُنْ إضاعتُهُمْ ترْكها، ولكنْ أضاعُوا المواقيت. (تفسير الطبري- جـ ١٦- صـ ٩٨).

(١٣) وصية الله للمسلم بالاستعانة بالصلاة في أمور الدنيا والآخرة:

قال الإمامُ المرْوزيُّ رحمهُ اللَّه: أمر اللَّه عبادهُ أنْ يفْزعُوا إلى الصَّلاة، والاسْتعانة بالصَّلاة على كُلِّ أمْرهمْ منْ أمْر دُنْياهُمْ وآخرتهمْ، ولمْ يخُصَّ بالاسْتعانة بها شيْئًا دُون شيْءٍ، فقال: (وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ) (البقرة: ٤٥)، وإنَّما بدأ بالصَّبْر قبْلها لأنَّ الإيمان وجميع الفرائض والنَّوافل من الصَّلاة وغيْرها لا تتمُّ إلاَّ بالصَّبْر. (تعظيم قدر الصلاة- للمروزي جـ١ صـ٢١٨).

وعنْ حُذيْفة بْن اليمان، رضي الله عنْه، قال: كان رسُول الله صلى الله عليه وسلم، إذا حزبهُ أمْرٌ صلَّى. (صحيح أبي داود للألباني: ١١٧١).

(١٤) الصلاة لا تسقط عن المريض طالما يعقل الأمور:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُماً، قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ. (البخاري- حديث: ١١١٧)

(١٥) مشروعية إقامة الصلاة جماعة في المساجد:

اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أمَرَ عِبادَهُ المسلمين ببناءِ المساجد لإقامة الصلاة جماعة. قال اللّه تَعَالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ) (النور ٣٦: ٣٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللّه عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى اللّه عليه وسلم قَالَ: مَنْ غَدَا إِلى المَسْجِد وَرَاحَ أَعَدَّ اللّه لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ. (البخاري حديث: ٦٦٢، ومسلم حديث: ٦٦٩).

(١٦) الصلاة تمييز بين المؤمنين والمنافقين في الدنيا والآخرة:

الصلاة ثقيلة على المنافقين في الدنيا؛ قَالَ سُبْحَانهُ: (إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء: ١٤٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى اللّه عليه وسلم: لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا. (البخاري حديث ٦٥٧، ومسلم حديث ٢٥٢).

وأَمَّا في الآخرة فإنَّ المُنافقين لا يستطيعون السجود إذا أُمِرُوا بذلك. قَالَ اللّه تعَالى: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ) (القلم: ٤٢: ٤٣).

وعَنْ أَبِي سعيد الخدري قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى اللّه عليه وسلم، يَقُولُ: يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا. (البخاري - حديث ٤٩١٩).

ثمرات المحافظة على إقامة الصلاة

نستطيع أن نوجز ثمرات إقامة الصلاة في الأمور التالية:

(١) حضور القلب واستشعار عظمة اللّه تعالى في الصّلاة.

(٢) إذا أحضر المصلّي قلبه في صلاته، فإنّه يخرج من صلاته وقد غفرت خطاياه.

(٣) الصّلاة راحة للنّفس، فإن أدّاها حقّ أدائها، وجد نشاطا وراحة وروحا.

(٤) الدّنيا سجن المؤمن يشعر فيها بالضّيق، فإذا دخل في الصّلاة وجدها قرّة عينيه ونعيم روحه وجنّة قلبه ومستراحه في الدّنيا.

(٥) كما أنّها للجسم رياضة بدنيّة تقوّيه وتفيده.

(٦) الصّلاة صلة بين العبد وربّه، وتذكّر العبد بدوام مراقبته للّه- عزّ وجلّ- فيحسن باطنه كما يحسن ظاهره.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِه، وَأَصْحَابِه، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

فقه التعامل مع القرآن الكريم

اعداد أ. د محمد حامد الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ: فحقيق بكلِّ متحدِّثٍ عن القرآن الكريم أو ناظرٍ فيه أن يستحضر خصائصه، ويُراعيَ صفاته وقدسيته حتى يسلم من الزلل، والوقوع في سوء التعامل مع القرآن الكريم.

ولْتعلَمْ -أخي الكريم- أن التعامل مع القرآن الكريم ينبغي أن يكون قائمًا على صحة الفهم، وحسن القصد، وإنما يأتي الخلل عند فقد هذين الأمرين أو أحدهما.

وإذا أنعم الله على العبد بصحة الفهم وحُسن القصد وجد في القرآن الكريم ما يشفي صدره، ويداوي قلبه، ويزكي نفسه، ويحقّق مبتغاه، وصار من المهتدين المفلحين.

قال ابن القيم رحمه الله: "صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجلَ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامُه عليهما، وبهما باينَ العبدُ طريقَ المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريقَ الضَّالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المُنْعَم عليهم الذين حَسُنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم، الذين أُمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة" (إعلام الموقعين لابن القيم ٢/١٦٤).

ومن أنفع ما يساعد العبد على تحقيق ذلك معرفته بخصائص القرآن الكريم، ومراعاته لها في كل ما يتعلق بالقرآن من أحوال.

ودونك نبذة عن أهم تلك الخصائص التي دلت الأدلة عليها، وأطبقت عليها الأمة:

أولاً: القرآن الكريم إلهي المصدر والنِّسبة

يعتقد المسلمون أن القرآن الكريم مصدره ومرده إلى الله رب العالمين وحده فهو كلامه الذي أنزله على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقد تضافرت الأدلة على تقرير ذلك وتوكيده؛ فمن ذلك: قوله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا » (سورة الإنسان: ٢٣)، وقوله تعالى: « وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » (الشعراء: ١٩٢)، وقوله تعالى: « وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ » (سورة النمل: ٦)، وقوله تعالى: « وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا »

(سورة الفرقان: ٥-٦)، وقوله تعالى: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ» (سورة التوبة: ٦).

وإذا أضيف القرآن إلى أحد الرسولين جبريل أو محمد عليهما السلام فبالنظر إلى أنهما مرسلان به لا منشئان له، ولعل هذا هو السر في التعبير بكلمة "رسول" في قوله تعالى: «إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» (سورة الحاقة: ٤٠)؛ وقد جاءت في سورتين؛ حيث قصد بآية سورة الحاقة الرسول محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، وفي آية سورة التكوير الرسول الملكي جبريل عليه السلام كما يدل عليه سياق الآيتين، ولم يقل: إنه لقول ملك أو إنه لقول نبي؛ إذ هو في حقيقة الأمر قولُ من أرسلهما، وليس لهما منه إلا شرف البلاغ.

ومن ردّد كلام غيره لم يقطع بذلك صلة الكلام بمن تكلم به ابتداءً؛ كما لا يخفى على ذي لُبٍّ.

ثانيًا: القرآن الكريم وحي من الله إلى الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- بلفظه ومعناه.

أوحى الله بالقرآن الكريم إلى النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بواسطة الروح الأمين وهو جبريل عليه السلام، ولم يكن قبل ذلك الوحي ذا علم بشيء من ذلك الموحَى به، ولا آملا في مجيئه إليه. وقد جاء في بيان ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ» (سورة يوسف: ٣)، وقوله تعالى: «وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ» (سورة القصص: ٨٦)، وقوله تعالى: «قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ» (سورة البقرة: ٩٧).

وهذا الوحي بالقرآن لم يكن بالمعنى فحسب، وإنما كان وحيًا باللفظ والمعنى؛ ولذا فقد كان الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- حريصًا على ترديد ما يُلقيه عليه جبريل -عليه السلام- من القرآن؛ خشيةَ أن يتفلت منه شيء؛ فأنزل الله قوله: «لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ» (سورة القيامة: ١٦-١٩)، وقال -جل ذكره- مُعلّما إياه: «وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا» (سورة طه: ١١٤)، وربما رغب الرسول -صلى الله عليه وسلم- في مزيد من الوحي، وقال لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فأنزل الله قوله: «وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» (سورة مريم: ٦٤)(أخرجه البخاري في صحيحه: ٤٧٣١).

وقد أعلمه الله جلَّ ذكره أنه متَبع لما يوحى إليه مستسلم له، ليس إليه أمر تبديله أو تقديم نزوله، أو تأخيره فقال تعالى: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (سورة يونس: ١٥) وقال تعالى: «وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى» (سورة الأعراف: ٢٠٣)؛ وذلك أنه ربما تأخر الوحي عنه، فكان الكفار يقولون هلّا اجتبيتها، أي: هلا اخترتها واختلقتها من قبلك ومن عند نفسك؛ إذ كلامك كله كذلك، وهذا على ما كانت قريش تزعمه من أنه من عنده، أو أن المراد هلا تلقيتها من الله وتخيّرتها عليه؛ إذ تزعم أنك نبي وأن منزلتك عنده منزلة الرسالة، فأمره الله عز وجل أن يجيب بالتسليم لله تعالى، وأن الأمر في الوحي إليه ينزله متى شاء لا معقب لحكمه في ذلك. (ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٤٩٢/٢).

والحكم بأن القرآن الكريم لفظه ومعناه من الله عام ليس في القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يَخرج عن هذا الحكم، أو يستثنى منه.

قال ابن حزم في كتابه "مراتب الإجماع" تحت عنوان: باب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع: وأن القرآن المتلو الذي في المصاحف بأيدي الناس في شرق الأرض وغربها من أول الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إلى آخر قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ هو كلام الله عز وجل ووحيه أنزله على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- مختارًا له من بين الناس" (مراتب الإجماع لابن حزم الأندلسي صـ١٧٣).

ثالثًا: قدسية القرآن الكريم ذاتية لا مضفاة عليه

القرآن الكريم قدسيته مستمدة من مصدره، وليست مضفاة عليه من قبل أحد، أو متأخرة عن نزوله، أو مستفادة من الواقع، وهذا أمر لا ينبغي أن يخالف فيه من يعتقد أن القرآن وحي من الله رب العالمين؛ ولذا فقد وصف الله القرآن بأوصاف تدل على مكانته، وقدسيته، وحرمته فوصفه بالعزة، والمجد، والكرم، والحكمة، والعظمة، وغير ذلك، وهو حقيق بأن يُعظَّم ويقدَّس، وقد بين الله أنه ذو حرمة وقدسية عند أهل السماء فليكن كذلك بين أهل الأرض قال تعالى: « إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » (سورة الواقعة: ٧٧ - ٨٠)، وهذا فيه أن المنزل من رب العالمين هو القرآن الكريم وأنه الذي في الكتاب المكنون لا غيره.

ومن قدسية القرآن: أن يُعلَم أن تلاوة القرآن ليست كغيرها من تلاوات؛ "فإن التالي للكلام بمنزلة المُكالم لذي الكلام، وهذا غاية التشريف من فضل الكريم العلام" (البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٤٥٩).

ومن قدسيته أيضًا: أنه لا يُعتدى عليه بتحريف، وأن لا يُتكلم في تفسيره أو تأويله بدون حجة، وأن لا تُردَّ أحكامه، أو يُدَّعى فيه قصور، أو خلل، أو تناقض، أو كذب؛ لأن الطاعن فيه طاعن في منزله. قال تعالى: « وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ » (سورة: الأنعام: ١١٥)؛ "أي: صدقًا في الأخبار وعدلاً في الأحكام، فكله حق وصدق وعدل وهدى ليس فيه مجازفة ولا كذب ولا افتراء" (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٩٩).

رابعًا: القرآن الكريم محفوظ كله بحفظ الله له من التبديل أو الزيادة أو النقصان

من الخصائص التي تميز بها القرآن الكريم عن غيره من الكتب المنزلة الأخرى كالتوراة والإنجيل أن الله تكفل بحفظه له دون أن يَكِل ذلك إلى المخلوقين، وهذا ما قرره الحق سبحانه وتعالى في قوله: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ » (سورة الحجر: ٩)، والذكر هنا هو القرآن في قول جميع المفسرين. قال ابن الجوزي: "والمعنى: لَحافظُونَ للقرآن من أن يُبدَّل أو يغير، كما جرى في سائر الكتب المنزلة" (زاد المسير: ٢/٥٢٥).

والذي عليه أكثر المفسرين أن الضمير في قوله: "لَهُ" عائد إلى القرآن الكريم، وثَمَّ قول بأن الضمير في: "له" يعود على الرسول -صلى الله عليه وسلم- أي: وإنّا لمحمد -صلى الله عليه وسلم- لحافظون، واستندوا إلى أنه لما ذكر الله الإنزال والمُنَزَّل دل ذلك على المنزَّل عليه فحسُنت الكناية عنه، لكونه أمرًا معلومًا، لكنَّ القول الأول -وهو أنه عائد على الذكر الذي هو القرآن- قول الأكثرين وهو أرجح القولين وأحسنهما مشابهة لظاهر التنزيل، والأصل عود الضمير على المذكور لا على غيره (ينظر: مفاتيح الغيب ١٩/١٢٣).

قال الإمام الرازي: "اختلفوا في أنه تعالى كيف يحفظ القرآن قال بعضهم: حفظه بأن جعله معجزًا مباينًا لكلام البشر، فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان عنه؛ لأنهم لو زادوا فيه أو نقصوا عنه لتغيَّر نَظْم القرآن فيظهر لكل العقلاء أن هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزًا كإحاطة السور بالمدينة؛ لأنه يحصنها ويحفظها، وقال آخرون: إنه تعالى صانه وحفظه

من أن يقدر أحد من الخلق على معارضته، وقال آخرون: أعجز الخلق عن إبطاله وإفساده بأن قيَّض جماعة يحفظونه ويدرسونه ويشهرونه فيما بين الخلق إلى آخر بقاء التكليف، وقال آخرون: المراد بالحفظ هو أن أحدًا لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى حتى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقال له كل الصبيان: أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا، فهذا هو المراد من قوله: وإنا له لحافظون" (مفاتيح الغيب ١٢٣/١٩).

ومن أعظم أسباب حفظ القرآن: كونه الرسالة الخاتمة الخالدة الباقية التامة التي تصلح لكل زمان ومكان والله على كل شيء قدير.

وذلك أن "ترك حفظ الكتاب الخاتم للبشر، الذين يجوز عليهم الإهمال، والتحريف، والنسيان معناه طروء وحدوث التحريف والضياع لهذا الكتاب؛ حيث لا وحي سيأتي، ولا رسول سيُبْعث، ولا كتاب سينزل... الأمر الذي لو حدث -افتراضًا- سيضل الناس، ولا رعاية لهم، ولا حجة عليهم..." (حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين صـ٣٠١ -المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣ م).

ولهذا لما كان هذا الأمر -ختم الرسالات- غير متحقق للكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، جعل الله حفظهما موكولاً إلى الخلق، ولم يَعد بحفظهما من التغيير. قال تعالى: « إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ » (سورة: المائدة: ٤٤).

وقد سُئل القاضي إسماعيل بن إسحاق (ت٢٨٢هـ): "لمَ جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟" فقال: " قال الله تعالى، في أهل التوراة: بمَا اسْتُحْفظُوا منْ كتَاب الله، فوكل الحفظ إليهم. وقال في القرآن: « إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ » (سورة الحجر: ٩); فلم يجز التبديل عليهم" (ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ٢٨٣/٤، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ١٦٢/١).

ومن الأدلة على حفظ الله للقرآن الكريم أيضًا قوله تعالى: « بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ » (سورة البروج: ٢١ - ٢٢) إذ في قوله: "محفوظ" قراءتان الأولى بالخفض وهي قراءة جمهور القراء على أنه صفة "لوح"، وحفظ اللوح الذي فيه القرآن كناية عن حفظ القرآن، والقراءة الأخرى بالرفع -وهي قراءة نافع المدني- على أنه صفة للقرآن، وحفظ القرآن يستلزم أن اللوح المودع هو فيه محفوظ أيضًا، فلا جرم حصل من القراءتين ثبوت الحفظ للقرآن وللوح. (النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٣٩٩/٢).

ومما يدل على ذلك أيضًا: قوله تعالى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ » (فصلت: ٤١ - ٤٢).

هذه بعض خصائص القرآن، وجميعها ينبغي للعبد معرفتها ومراعاتها في تعامله مع القرآن الكريم، والحق أن هناك خصائص أخرى، لعلي أعرض لها في مقالة أخرى -بإذن الله تعالى- مع إثبات أن أكثر من ضل السبيل، وانحرف عن الطريق القويم في التعامل مع هذا الكتاب العزيز أعرض عن هذه الخصائص، وغفل عنها أو تغافل فوقع في الضلال المبين.

نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يدخلنا جنات النعيم، ويقينا عذاب الجحيم والحمد لله رب العالمين

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

تحذير إلهي من الإعراض عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: "وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ" (المائدة: ٩٢).

من خصائص الإسلام: الوسطية

قال أبو جعفر الطّحاويّ رحمه الله تعالى في الطّحاويّة: «دين الله في الأرض والسّماء واحد، وهو دين الإسلام، وهو بين الغلوّ والتّقصير، وبين التّشبيه والتّعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس» (شرح الطحاوية).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن حذيفة رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا»، وإذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» (صحيح البخاري).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملة ولاة الأمر

عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورجل سأله فقال: أرأيت إن كان علينا أمراء يمنعونا حقّنا ويسألونا حقّهم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حُمّلوا، وانّما عليكم ما حُمّلتم» (صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً، لاتخذتُ أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي» (صحيح البخاري).

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» (صحيح البخاري).

من تفاسير السلف

قال ابن القيّم رحمه الله: "قال أكثر المفسّرين في قوله تعالى: «وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا» (الأعراف: ٥٦)؛ أي: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والدّعاء إلى غير طاعة الله، بعد إصلاح الله لها ببعث الرّسل، وبيان الشّريعة، والدّعاء إلى طاعة الله، فإنّ عبادة غير الله والدّعوة إلى غيره والشّرك به هو أعظم فساد في الأرض. (التفسير القيّم).

اعداد: علاء خضر

حكم ومواعظ

قال ابن ضبارة رحمه الله: "إنّا نظرنا فوجدنا الصّبر على طاعة الله تعالى أهون من الصّبر على عذاب الله تعالى" (الإخوان لابن أبي الدنيا)

من أقوال السلف

قال الأوزاعيّ رحمه الله تعالى: «ما من أمر أمَرَ الله به إلاّ عارض الشّيطان فيه بخصلتين ولا يبالي أيّهما أصاب: الغلوّ أو التّقصير» (المقاصد الحسنة للسخاوي).

التوسل البدعي

قال ابن تيميّة رحمه الله تعالى: "من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربه أو استغاث به سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما هو في معناهما؛ فهذا القول لم يقله أحد من الأمم... فلا يجوز للإنسان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله". (الرد على البكري لابن تيمية).

التوسل المشروع

قال ابن تيميّة رحمه الله تعالى: «إنّ الله تعالى يحبّ أن نتوسّل إليه بالإيمان والعمل الصّالح والصّلاة والسّلام على نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، ومحبّته وطاعته وموالاته» (الرد على البكري لابن تيمية).

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية في وصف الدنيا:

هي الدنيا إذا كملت
وتمّ سرورها خذلت
وتفعل في الذين بقوا
كما فيمن مضى فعلت

(العقد الفريد لابن عبد ربه)

السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم

إعداد **د. عبد الرحمن فودة**
أستاذ البلاغة بجامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين.

وبعدُ؛ فقد بيَّنت في المقال السابق دور السياق في إيثار وصف العذاب بـ"الأكبر"، و"نكرًا"، و"صعدًا" دون غيره من أوصاف العذاب، أسأل الله لي ولك السلامة من كل سوء. وسُقنا على ذلك أمثلة تحليلية. وفي هذا المقال بعون الله وتوفيقه نتناول أوصاف "كبيراً"، و"واصب"، و"واقع".

الوصف الحادي عشر: (كبيرا):

قال تعالى: «وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا» (الفرقان: ١٩).

قال الراغب: الكبير والصغير من الأسماء المتضايفة التي تُقال عند اعتبار بعضها ببعض، فالشيء قد يكون صغيرًا في جنب شيء، وكبيرًا في جنب غيره، ويستعملان في الكمية المتصلة كالأجسام وذلك كالكثير والقليل، وفي الكمْية المنفصلة كالعدد، وربما يتعاقب الكثير والكبير على شيء واحد بنظرين مختلفين نحو «قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ» (البقرة: ٢١٩)، وأصل ذلك أن يُستعمل في الأعيان ثم استُعير للمعاني، نحو قوله: «لَا

يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا » (الكهف: ٤٩)، «ولاَ أَصْغَرُ من ذَلِكَ ولاَ أَكْبَرُ» (سبأ: ٣).

فمن ذلك ما اعتُبر فيه الزمان فيقال: فلان كبير، أي مُسنّ: « إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ » (الإسراء: ٢٣). ومنه ما اعتُبر فيه المنزلة والرفقة نحو: « قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ » (الأنعام: ١٩)، وتُستعمل الكبيرة أيضًا فيما يشقّ ويصعُب نحو: « وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ » (البقرة: ٤٥). وقوله: « كَبُرَتْ كَلِمَةً » (الكهف: ٥)، ففيه تنبيه على عِظم ذلك من بين الذنوب وعظم عقوبته. وقوله: « يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ » (الدخان: ١٦)؛ فتنبيه أنّ كل ما ينال الكافر من العذاب قبل ذلك في الدنيا وفي البرزخ صغير في جنب عذاب ذلك اليوم.

وكلمة (كبير) وُصِفَ بها العذاب مرة واحدة، وقعت الكلمة فاصلة، نكرة، في جملة فعلية، وفي سورة مكية، وفي العذاب الأخروي.

والكبير يقابل الصغير. وكأن كل ما ينال الكافرين من العذاب قبل ذلك في الدنيا وفي البرزخ هو عذاب صغير في جنب عذاب ذلك اليوم الرهيب.

وهو متفق ومتسق مع سياق: « وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا » (الفرقان: ١٩)؛ لمجاوزة الظالم الحد والطغيان، فكان ظلمه كبيرًا-وهو الكفر بالله- ولذا جاء العذاب كبيرًا.

فالعذاب الكبير لمن يظلم، والظالم ينتقص المظلوم حقه؛ ولذلك عُوقب بسبب ظلمه بالعذاب الكبير المقابل للشيء الذي سلبه من صاحبه ولو كان صغيرًا.

وجاءت صيغة (فعيل) صفة مشبهة للدلالة على الثبات والدوام والوصف والموصوف نكرتان لتتصور النفس فداحة ذلك العذاب الذي يعذبه الظالم وكبره، وتتسق الفاصلة مع ما قبلها (بورًا)، وما بعدها من آيات (بصيرًا- كبيرًا- محجورًا- مفعولاً)، وهذا الظلم هو الشرك بدليل ما قبلها من آيات: « وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ (١٧) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا » (الفرقان: ١٧- ١٩).

فإن المعبودين من دون الله يُنزّهون الله عن الشريك ثم يقولون، (ولكن متعتهم)؛ أي: هؤلاء المشركين وآباءهم فكانوا قومًا بورًا. ثم تحوّل السياق بالالتفات إلى المشركين مخاطبًا إياهم: « فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ».

فيستحضرهم في المشهد ويخاطبهم ليكون أوقع ألمًا في نفوسهم، ويتوعدهم بعذاب كبير. ونلاحظ الدقة في استخدام (نذقه) التي تجعله يستشعر مرارة الألم وكأنه يتذوقه.

الوصف الثاني عشر: (واصب):

قال تعالى: « إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ » (الصافات: ٦-٩).

هذا وصف مخصوص بالشياطين، حين يسترقون السمع من السماء لمعرفة الأخبار النازلة للأرض فيلقونها للكهان، فيلحق بهم هذا العذاب الدائم الممرض المتعب، فيصيرون مدحورين.

أما دلالة كلمة (واصب) معجميًا، فإنها تدل على دوام شيء؛ ووصب الشيء وصوبًا: دام. وصب الدين: وجب. «دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ» أي دائم.

وقال الراغب: «الوصب: السقم اللازم. وصب أوصبه فهو يتوصب نحو يتوجع. قال تعالى: «وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ» معنى الواصب: الدائم».

وقد جاءت الكلمة مرة واحدة وصفًا للعذاب، ووقعت فاصلة، نكرة، في جملة اسمية، في سورة مكية، وفي عذاب أخروي، توعد به الشياطين في قوله تعالى: «دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ».

والآية واقعة في نسق لغوي دالّ على الدوام؛ حيث أقسم الله تعالى بقوله: «وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ (٦) وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ (٨) دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ» (الصافات: ١-٩).

فالتعبير بالاسمية للدلالة على الثبوت في وصف العذاب بأنه (واصب) أي: دائم وهو عذاب يستحقه الشياطين المردة الذين يَسمَّعون إلى الملأ الأعلى (يحاولون السماع للأخبار ولا يفلحون)؛ فيُعاقَبُون بالقذف من كل جانب بالشهب، ويُدحرون ويذمون، ثم في الآخرة لهم عذاب واصب ممرض مؤلم دائم. وجاء الوصف بزنة فاعل، وهي صيغة دالة على الدوام بذاتها مثل: (قائم- هائم- دائم)؛ فهو إذًا عذاب دائم موجع أو شديد غير منقطع، وهي صيغة متناسقة مع ما بعدها وما قبلها (مارد- جانب- لازب)؛ لتُحدث لونًا من الإيقاع في نهايات الآيات.

الوصف الثالث عشر: (واقع):

قال تعالى: «سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ (١) لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ» (المعارج: ١-٢).

الوقوع: ثبوت الشيء وسقوطه

العذاب الواقع أي الذي يقع في الآخرة، وهو مسوق على لسان سائل مستهزئ أو ساخر كأنه يتعجل العذاب الذي تهددهم به القرآن الكريم.

فاستخدم صيغة (واقع): فاعل للدلالة على تحقق وقوعه مستقبلاً.

ومعنى الآية: دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب عليهم، وهو واقع بهم يوم القيامة لا محالة، ليس له من الله ذي العلو والجلال مانع يمنعه من النزول بالكافرين.

وقد ورد طلب الكافرين من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل بهم العقاب أو العذاب أكثر من مرة في الكتاب العزيز منها: «وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ» (الأنفال: ٣٢).

وقد ورد (واقع) وصفًا للعذاب مرة واحدة في القرآن الكريم، فاصلة، نكرة، في جملة اسمية في سورة مكية، في عذاب أخروي.

ومادة (وقع) تأتي كثيرًا في العذاب والشدائد، وسميت بها القيامة في قوله تعالى: «إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ» (الواقعة: ١)، «وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ» (النمل: ٨٢).

وأفادت في موضعها استهزاء السائل وسخريته بتعجيل العذاب، ولم يقل (بعذاب سيقع).

ونلاحظ أن السائل -بوزن فاعل-، وأن العذاب (واقع) بالوزن نفسه، وكذلك ليس له (دافع)؛ فاستخدام اسم الفاعل (واسم الواقعة اسم فاعل أيضًا) للدلالة على تحقق الوقوع وثباته ودوامه، وهذا يعطي معنى الاستمرار في السؤال وفي وقوع العذاب وحدوثه وعدم دفعه عن الكافرين بحال. ونلاحظ أن في الوزن محافظة على البنية الإيقاعية في تناسب الفواصل (واقع- دافع)، ومن ثم الإيقاع الصوتي بجرس الكلمة، كما نلاحظ أيضًا التنكير في الصفة والموصوف لتخيل العذاب حسبما يتراءى لكل متلق أو سامع من جهة، ومن جهة أخرى على لسان السائل نفسه الذي يعي معنى التنكير المفيد للتضخيم المتوعد به لكفره وجحوده. والله أعلم.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

سحرة البيان وسحرة الثعبان

إعداد د. أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:
فقد ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بْن عُمَر، رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلاَنِ مِنَ المَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلى الله عَليه وسَلم: إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا. (صحيح البخاري ٥٧٦٧).

والبيان بحق محمود، قالوا: تكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبد العزيز -وكان في قضائها مشقة- بكلام رقيق مُوجز، وتأنَّى لها وتلطَّف، فقال عمر بن عبد العزيز: "هذا السحر الحلال". وكان زيد بن إياس يقول للشعبي: "يا مبطل الحاجات"؛ يعني: أنه يشغل جلساءه بحسن حديثه عن حاجتهم. (التوضيح لابن الملقن: ٢٧/ ٥٥١).

وأما إن استُعمل البيان بباطل وقلب الحقائق فهو شبيه السحر، وهذا مذموم.

وقد ابتُلينا في زماننا بأناسٍ قد استطاعوا استمالة الناس وتزييف الحقائق وقلب الموازين، حتى حوَّلوا الباطل إلى معروف، والمنكَر إلى مألوف، بحُسْن بيانهم وجميل أجسادهم وفتنة الناس بهم.

فكل من استمالك فقد سحرك؛ كما يفعل السحر بالمسحور.

وفي قصص القرآن الكريم حديث عن قصة موسى مع فرعون، وهي من أكثر قصص القرآن ذكرًا وتفصيلاً وتكرارًا في كتاب الله تعالى، وفي هذه القصة إشارة إلى فريق كان طرفًا في الصراع تجاه موسى وهم سحرة فرعون.

وكان همَّ فرعون بقاء مُلكه، وقد أخبر أن هلاكه على يد غلام من بني إسرائيل، فجعل يقتل الغلمان كلهم ليبقى مُلكه، ويأبى الله

إلا أن يكون هلاك فرعون على يد غلام يخرج من بيته؛ فقد حكم العظيم -سبحانه وتعالى-، الذي لا يُغالَب، ولا يُمانَع، ولا تُخالَف أقداره، أن هذا المولود الذي تحترز منه، وقد قتلتَ بسببه من النفوس ما لا يُعدّ ولا يُحصى، لا يكون مرباه إلا في دارك، وعلى فراشك، ولا يُغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك، وأنت الذي تتبنّاه، وتربيه، وتتفداه، ولا تتطلع على سر معناه... ثم يكون هلاكك على يديه!!

فأتاه الله من حيث لا يحتسب، وأزال سلطانه من مأمن كان منه لا يكترث.

وقد وضع فرعون خطة خبيثة، تُمكّنه من استمرار التحكم، والاستعلاء، والطغيان، تقوم هذه الخطة على اتخاذ مجموعة من المثقفين والعلماء في السحر، وهو العلم الذي برعوا فيه، وهؤلاء يُشكّلون عقول الناس وثقافتهم، ويُوجّهون المجتمع إلى ما فيه غايتهم ومصالحهم.

وخلفهم جند أقوياء يحمون هذا التوجُّه الفكري والعقدي، وكان لجنود فرعون قوة ظاهرة في عددهم: «هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ» (البروج: ١٧- ١٨)؛ فقد سمى الله حديث فرعون حديث الجنود؛ لما تمتعوا به من قوة وبطش.

وقد تمكَّن فرعون بهذا التخطيط من الاستخفاف بعقول الناس وكأنه لا يراهم ولا يعبأ بهم، بل ولا يعتقد أنهم يفهمون شيئًا كأنهم دواب في الأرض لا رأي لهم ولا عقل: «وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ» (غافر: ٣٦- ٣٧)، وهو يعلم أن هذا البناء سراب وغباء لكنه نوع من الاستخفاف والكبرياء.

ولما تواجه السحرة مع موسى كان أول ما طلبوه من فرعون؛ «أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ» (الشعراء:٤١). لم يسألوا: هذه القضية حق أم باطل، صدق أم كذب، ظلم أم عدل؟!

وأجابهم فرعون بنفس المنطق المادي الدنيوي الذي ليس له من الإيمان حظ ولا نصيب: «قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ» (الأعراف: ١١٤)؛ أي: سيكون لكم أجر مادي، وستكونون من المقربين.

فاجتمع خلق كثير من السحرة على الملأ أمام موسى وحده، فالباطل قد كثر داعموه، والحق كثر مانعوه، ولكن الحق أبلج والباطل لجلج.

فوعظهم موسى، لكنهم لا يسمعون؛ إذ المغريات والجاه والدنيا كلها قد زُيِّنت لهم وأتتهم تحت أقدامهم؛ «قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ» (طه: ٦١ - ٦٤).

فهؤلاء قد عاشوا حياتهم يتعلمون فنون الإغواء والسحر والتلاعب بعقول الناس وأفئدتهم، وقد ميّزهم فرعون بكل أنواع الجاه والعطاء، فهي مناظرة لها ما بعدها من العطاءات ورغد العيش والقرب من العرش.

لكن كل ذلك تبخَّر في دقائق معدودات، لما رأوا الآيات البينات وصدق دلائل النبوة وما فيها من الآيات؛ « فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ » (طه: ٧٠-٧٦).

قَالَ الْحَسَنُ: "سُبْحَانَ اللَّه! الْقَوْمُ كُفَّارٌ، وَهُمْ أَشَدُّ الْكَافِرِينَ كُفْرًا، ثَبَتَ في قُلُوبِهِم الْإِيمَانُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَلَمْ يَتَعَاظَمْ عِنْدَهُمْ أَنْ قَالُوا: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ في ذَاتِ اللَّه تَعَالَى، وَاللَّه إِنَّ أَحَدَكُمُ الْيَوْمَ لَيَصْحَبُ الْقُرْآنَ سِتِّينَ عَامًا، ثُمَّ إِنَّهُ يَبِيعُ دِينَهُ بِثَمَنٍ حَقِيرٍ".

نعم والله؛ إنه صعلوك من يبيع دينه بثمن بخس، نُقل عن مالك أنه قال: قال لي ربيعة الرأي يا مالك مَن السفلة؟ قال: قلتُ مَن أكل بدينه. فقال لي: ومن أسفل السفلة؟ قلت: مَن أصلح دنيا غيره بفساد دينه. (الآداب الشرعية: ١/ ٣٢٩).

فانظر إلى هذه القوة الإيمانية أمام فرعون أطغى الطغاة أن قالوا له: « فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ »؛ وفي سورة الشعراء « قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ » (الشعراء: ٥٠- ٥١)؛ أي: حُكمك علينا لا يتعدى حكم الدنيا، أما الآخرة فلا تملكها.

قال ابن عباس: "كانوا أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء. وكان من دعائهم: "رَبَّنَا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مُسلمين".

أيُّ إيمان حل في قلوبهم؟! وأي سكينة نزلت عليهم؟! ما الذي غيَّرهم؟! ما الذي بدَّلهم؟! ما الذي هزَّ كيانهم؟! إنه إيمان تغلغل في أحشائهم.

ما أهون الحياة الدنيا حين تكون ثمنًا للإيمان بالله عز وجل!!

كانوا في أول النهار يقولون: « أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ » (الشعراء: ٤١)، ويقولون: وعزة فرعون أننا سنغلب، وفي آخر النهار سجدوا لرب هارون وموسى فـ « قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ » (طه: ٧٠).

في أيامنا الحاضرة طغيان في الأرض شديد يسوم المسلمين سوء العذاب، ولربما يزيد هذا التسلط، فيخيف ضعاف الإيمان فيرجعون من منتصف الطريق، ويكونون من الذين قال الله عز وجل فيهم: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ » (الحج: ١١)، أو من الذين قال الله تعالى فيهم: « وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ » (العنكبوت: ١٠).

والإيمان بالله تحرُّر من العبودية للهوى.. ومن العبودية للعبيد.. ومن عبودية المال والجاه والسلطان.

وطالما كان الحق في الأرض فلا بد له من أعداء يتربصون به، ولن يَخلُ زمن إلى قيام الساعة من هذه الفتنة؛ للتمحيص والابتلاء ورفع الدرجات.

فاللهم ثبِّتنا على الحق حتى نلقاك.

علامات محبة الله تبارك وتعالى وثمراتها

إعداد أ. عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وبعدُ:
فمن أعظم وأرفع منازل السائرين إلى رب العالمين، أن يحب العبد ربه، والأعظم أن يحبه الله جل وعلا.

وقد جعل الله-تبارك وتعالى- من سمات عباده المقربين أنه يحبهم وهم يحبونه، فقال جل وعلا: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ » (المائدة:٥٤).

قال ابن القيم: "فقدْ ذكرَ لهُمْ أرْبعَ علامَاتٍ أحَدُها: أنَّهُمْ أذلَّةٌ علَى المُؤْمنينَ قيلَ: معْناهُ أرقَّاءُ، رُحَمَاءُ مُشْفقُونَ علَيْهمْ، عاطفُونَ علَيْهمْ. فلمَّا ضمَّنَ أذلَّةً هذا المعْنَى عدَّاهُ بأداة "علَى". قال عطاءٌ: للمُؤْمنينَ كالوَلد لوالده، والعبْد لسيِّده. وعلَى الكافرينَ كالأسَد علَى فريسته «أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ » (الفتح: ٢٩).

العلامَةُ الثَّالثَةُ: الجهادُ في سبيل الله بالنَّفْس والْيَد، واللِّسان والمال، وذلكَ تحْقيقُ دعْوى المحبَّة.

العلامَةُ الرَّابعَةُ: أنَّهُمْ لا تأْخُذُهُمْ في الله لوْمَةُ لائم. وهذا علامَةُ صحَّة المحبَّة فكلُّ مُحبٍّ يأْخُذُهُ اللوْمُ عنْ محْبُوبه فليْسَ بمُحبٍّ علَى الحقيقَة.

وقَال تعَالَى « أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ » (الإسراء: ٥٧)- إلى قوْله- «مَحْذُورًا » (الإسراء: ٥٧). فذكرَ المقَامَات الثَّلاث: الحُبُّ. وهُو ابْتغَاءُ القُرْب إليْه، والتَّوسُّلُ إليْه بالأعْمَال الصَّالحَة. والرَّجَاءُ والخوْفُ: يدُلُّ علَى أنَّ ابْتغَاءَ الوَسيلَة أمْرٌ زائدٌ علَى رجَاء الرَّحْمَة وخوْف العذَاب.

ومنَ المعْلوم قطْعًا: أنَّكَ لا تتَنَافسُ إلاَّ في قُرْب منْ تُحبُّ قُرْبَهُ، وحُبُّ قُرْبه تبَعٌ لمحبَّة ذاته. بلْ محبَّةُ ذاته أوْجبَتْ محبَّةَ القُرْب منْهُ. وعنْدَ الجهْميَّة والمعطِّلَة: ما منْ ذلكَ كلِّه شيْءٌ. فإنَّهُ عنْدَهُمْ لا تقْرُبُ ذاتُهُ منْ شيْءٍ، ولا يقْرُبُ منْ ذاته شيْءٌ.

فأنْكرُوا حيَاةَ القُلُوب، ونعيمَ الأرْوَاح، وبهْجَةَ النُّفُوس، وقُرَّةَ العُيُون، وأعْلَى نعيم الدُّنْيَا والآخرَة. ولذلكَ ضُربَتْ قُلُوبُهُمْ بالقَسْوَة، وضُربَتْ دُونَهُمْ ودُونَ الله حُجُبٌ علَى

معْرفته ومحبّته. فلا يعْرفونه ولا يُحبّونه. ولا يذْكُرونه إلا عنْد تعْطيل أسْمائه وصفاته فذكْرُهمْ أعْظمُ آثامهمْ وأوْزارهمْ.

بلْ يُعاقبُون منْ يذْكُرُهُ بأسْمائه وصفاته ونُعوت جلاله. ويرْمُونهمْ بالأدْواء التي هُمْ أحقّ بها وأهْلُها، وحسْبُ ذي الْبصيرة وحياة الْقلْب: ما يرى على كلامهمْ من الْقسْوة والْمقْت، والتّنْفير عنْ محبّة الله عزّ وجلّ ومعْرفته وتوْحيده. والله الْمُسْتعانُ". (مدارج السالكين: ٣/٢٢)

ولعظم منزلة محبة الله تبارك وتعالى فإن الله سبحانه هو الذي يختار ويصطفي من عباده من يعلم أنه أهل لذلك الفضل العظيم: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)، فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بين هؤلاء المحبين وبين ربهم.

الحب هو هذا الروح الساري اللطيف الرفاف المشرق الرائق البشوش هو الذي يربط القوم بربهم الودود.

وإذا كان حبُّ الله لعبد من عبيده أمرًا هائلاً عظيمًا وفضلاً غامرًا جزيلاً؛ فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها هو إنعام هائل عظيم وفضل غامر جزيل.

وهذا الحب من الله الجليل لعبد من عبيده، والحب من العبد لله المنعم المتفضل يملأ النفس بالسكينة والرضا بالقضاء والقدر ويجعل العبد مباركا أينما كان: قال الشيخ الدكتور فريد الأنصاري -رحمه الله-: " أما قوله عز وجل «وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» (البقرة: ١٦٥) فلأنهم عرفوا الله عز وجل، فلو لم يعرفوه ما أحبوه، وكيف كان حبهم أشدَ أي أكثر وأرفع وأعمق وأقوى من حب الآخرين للأنداد، ومعرفة الله ليست كـ"اسم" فقط، لا، لأن الله لا يُعرف إلا بأمرين يُعرف بالعلم «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (آل عمران: ١٨)، يُعرف بالعلم، ثم يُعرف بالعبادة، لأن العلم يُعلمك الصفات، ويُعلمُك أخبار الحق عن الحق سبحانه وتعالى، ولأن العبادة تساعدك على تذوق معنى كل ما علمت، لأن الانسان قد يعلم ولا يذوق ما يعلم، لا يعلم العالم حقيقة ما يعلم إلا حينما يذوقه، وذلك ما سماه النبي عليه الصلاة والسلام حلاوة الإيمان، فحلاوة الإيمان إنما تُدرك بالسلوك، بالأخلاق، بالعمل، بالسير إلى الله عز وجل، والمؤمن من جمع بين العلم والعمل.

ثمرات محبة الله تعالى:

كلما تعرّف العبدُ على ربه ازداد له حُبًا وشوقًا، ويُكثر من ذكره ويأنسُ بقربه، ويستوحشُ ممّا سواه، ويحبُّ الخلوة به ومناجاته، يُسارع في طاعته ويعمل دومًا على رضاه، يغار على محارمه، ويغضب من أجله، يفرح بعطاياه ويشكره دومًا عليها.

وكلما ازداد حُبُّ العبد لربه ازدادت مبادرتُه لطاعته واستمتاعه بذكره ومناجاته، وذلك ما جعل رسولنا- صلّى الله عليه وسلّم- يقول لبلال: «يا بلالُ أقم الصّلاةَ أرحْنا بها» (أخرجه أبو داود (٤٩٨٥)، وصححه الألباني)، فإنّ هناك بالفعل سعادةً حقيقيةً ومتعةً وشعورًا باللذة والنعيم يجدُها المُحبُّ في الصلاة في سائر العبادات.

وعندما يتمكن حُبُّ الله من قلب العبد، فإن هذا من شأنه أنْ يجعله دومًا حريصًا على اغتنام أيّة فرصة تتاحُ له فيها الخلوة به-سُبْحانه- ومناجاته، يضحي بالغالي والرخيص من أجله، يرضى بكل ما يقضيه له، ويبذل غاية جهده في خدمته، كما أن المحبّة الصادقة لله- عزّ وجل- تدفعُ صاحبها لبذل كل ما يملكه من أجل نيل رضا محبوبه، وليس ذلك فحسب بل إنه يفعلُ ذلك بسعادة، وكل ما يتمناه أنْ تحوز هذه التضحية على رضاه.

كما أن المحب الصادق في حبّه لله عز وجل يستحي أن يراه حبيبه في وضع مشين، أو مكان لا يحب أن

يراه فيه. فإذا ما وقع في معصية أو تقصير سارع بالاعتذار إليه واسترضائه بشتى الطرق. بل إن أي بلاء يتعرض إليه يجعله قلقًا بأن يكون هذا البلاء مظهرًا من مظاهر لوْم الله له وغضبه عليه، لذلك تجده حينئذ يهرع إلى مولاه يسترضيه ويتذلل إليه ويستغفره، ويطلب منه العفو والصفح.

وفي هذا المعنى يقول ابن رجب: "إن محبة الله إذا صدقت أوجبت محبة طاعته وامتثالها، وبغض معصيته واجتنابها، وقد يقع المحب أحيانًا في تفريط في بعض المأمورات، وارتكاب بعض المحظورات، ثم يرجع إلى نفسه بالملامة، وينزع عن ذلك، ويتداركه بالتوبة" (استنشاق نسيم الأنس لابن رجب/٣٧).

ومن ثمرات محبة الله: الثبات والعزيمة في النصح ابتغاء وجه الله، وعدم إيثار محبة المخلوقين. ومن ثمرات محبة الله تعالى: الشفقة التي يجدها المحب في قلبه تجاه الناس جميعًا بخاصة العصاة منهم، وأن الذي يرضيه -سبحانه- هو عودة الجميع إليه ودخولهم الجنة، لذلك تجد هذا المحب شفيقًا على الخلق، حريصًا على دعوتهم لسان حاله يقول: «يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (الأعراف: ٥٩). ولذلك تجده يستخدم في ذلك كل الطرق والوسائل الممكنة، ولا يرتاح له بال حتى يُعيد الشاردين إلى حظيرة العبودية لربهم.

ومن الأمثلة العظيمة التي تبين تلك الشفقة على العصاة ما فعله مؤمن آل فرعون مع قومه، تأمل أقواله الذي جاء ذكرها في سورة غافر «يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ» (غافر:٣٠) «يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ» (غافر:٣٨). «وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ» (غافر:٤١). «وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ» (غافر:٤٢). هذه الثمرة العظيمة من ثمار المحبة من شأنها أن تجعلنا نقوم بتعديل خطابنا الدعوي، فنستوعب الجميع ونبشرهم ونطمئنهم تجاه ربهم قبل تخويفهم وترهيبهم.

وعندما يستبدّ حب الله في قلب العبد فإن هذا من شأنه أن يجعله يغار لمولاه، وعلى محارمه أن تنتهك، وحدوده أن تُتجاوز، وأوامره أن تخالف. فمع شفقته على العصاة، إلاّ أن هذا لا يمنعه من بغضه لتصرفاتهم التي تغضب ربه، ولو كانت من أقرب الناس إليه «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ» (الممتحنة: ٤).

ومن لوازم هذه الغيرة: الغيرة على رسوله، وكيف لا وهو أحب الخلق إلى الله، فلو كانت المحبة لله صادقة لتبعتها ولازمتها محبة رسوله والغيرة عليه، ولقد تمثل هذا الأمر في الصحابة جيدًا، ولعل ما حدث لخبيب بن عدي ما يؤكد ذلك، فقد تم أسره في يوم الرجيع، وصُلب لكي يُقتل، وقبل قتله قال المشركون له: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال: لا والله العظيم، ما أحب أن يفديني بشوكة يُشاكها في قدمه. (حياة الصحابة للكاندهلوي ١/٤٠٠).

ومع كل الثمار السابقة تأتي أهم ثمرة للمحبة ألا وهي الاستغناء بالله سبحانه وتعالى، والاكتفاء به «وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ» (طه: ٧٣)، فينعكس ذلك على تعاملات العبد مع الأحداث التي تمر به، فإن ادلهمت الخطوب استشعر معية الله له «لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا» (التوبة: ٤٠)، وإن تشابكت أمامه الأمور تذكر فردد في نفسه «إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ» (الشعراء: ٦٢). شعاره الدائم «وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا» (النساء: ١٣٢).

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يحبون ربهم حق محبته، وأن يرزقنا الشوق إلى لقائه ولذة النظر إلى وجهه الكريم، إنه هو البر الرحيم، والحمد لله رب العالمين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إعداد **الشيخ: أسامة سليمان**
رحمه الله

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعدُ:

فإن من أعظم شعائر ديننا الإسلامي شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونظرًا لأهميتها ومنزلتها في الشرع جاء هذا البحث ليتناول أهم المسائل المتعلقة بتلك القضية البالغة الأهمية.

أولاً: يُعرف العلماء (المعروف) بأنه اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، (والمنكر) اسم جامع لكل ما عُرف بالشرع والعقل قبحه.

وطبقًا لهذين التعريفين فإن مقياس المعروف والمنكر هو الشرع الصحيح الذي لا يتعارض مع العقل الصريح، ولذلك فإن من اعتمد على العرف في الحكم على تقبيح الأشياء وتحسينها فقد ضل ضلالاً بعيدًا، ذلك أن العرف قد يستقبح أشياء يستحسنها الشرع، وقد يستحسن أشياء يستقبحها الشرع، ومن ذلك ما قد يستحسنه عرف بعض المجتمعات التي فقدت سلامتها وتمزقت في عفن الجاهلية، فرأت التبرج والسفور والربا والخمور والاختلاط والغناء والخلاعة تقدمًا وتطورًا ومدنية وحضارة، والحجاب والعفاف والحياء والطهارة تخلفًا وظلامًا ورجعية. والمجتمعات الإسلامية أفرادها يأتمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة لسلامتها، وواجب على أفرادها المؤمنين، فبعضهم أولياء بعض، أما المجتمعات التي حادت عن الصراط وتوحلت في ظلام الجاهلية فإن أفرادها يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، فبعضهم من بعض، يقول سبحانه: «وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ» (التوبة: ٧١). ويقول جل شأنه: «ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ» (التوبة: ٦٧).

ثانيًا: إنَّ ترك الأمر المعروف والنهي عن المنكر يترتب عليه عقوبات إلهية؛ منها عدم استجابة الدعاء، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعون فلا يُستجاب لكم». (أحمد والترمذي).

ومنها كذلك أن العامة قد تعذب بعمل الخاصة إذا

أقرتهم على فعلهم ولم تأخذ على أيديهم؛ لأن الجميع يركبون سفينة واحدة، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه». (الترمذي وأبو داود).

ومن ذلك أيضًا ما رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ يومًا من نومه فزعًا وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج هكذا»، وحلّق بين السبابة والإبهام، فقالت زينب رضي الله عنها: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

ومنها تسليط العدو على أرض الأمة ومقدساتها وأخذ بعض ما في أيديهم، كما يحدث الآن في فلسطين، ومن قبلها كانت الأندلس.

فضلًا عن الأزمات الاقتصادية والأخلاقية والتناحر والتفرق الذي هو نتيجة حتمية لغياب تلك الشعيرة الهامة.

ثالثًا: وحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه فرض على الكفاية عند جمهور العلماء؛ لقوله تعالى: «وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (آل عمران: ١٠٤)، مع ملاحظة أنه فرض عين على كل مسلم أن ينكر المنكر بقلبه، وكذلك يكون واجبًا عينيًا إذا كان الشخص هو الوحيد الذي يعلم الحكم؛ لأن الكفاية لا تقوم إلا به، أو كان هو القادر وحده على تغيير المنكر دون غيره، كولي الأمر في بيته ومن يعول.

رابعًا: ولتغيير المنكر مراتب بيّنها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الإمام مسلم في «صحيحه»: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

ونلاحظ من هذا الحديث أن الإنكار بالقلب فرض عين على كل مسلم، حيث لا رقيب لأحد من البشر على قلب أحد، ولذلك فإن القلب الذي لا يتغير عندما يرى المنكر قلب ميت وانعدمت فيه مادة الحياة، قلب ليس فيه حبة خردل من إيمان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، غير أن هناك ضوابط لتغيير المنكر باللسان واليد يجب مراعاتها، بحيث لا يترتب على تغيير المنكر منكرٌ أشد، مع ظهور المصلحة الراجحة ومراعاة خير الخيرين وشر الشرين.

خامسًا: ولتغيير المنكر والأمر بالمعروف وسائل متعددة منها المحاضرة والخطبة والكلمة المقروءة والمسموعة، وكافة الوسائل، طالما كانت الوسيلة شرعية، بالإضافة إلى أن الهجر أحيانًا يكون وسيلة لزجر العاصي.

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آداب يجب مراعاتها، ومن تلك الآداب:

١- العلم: فالعلم يسبق القول والعمل، ولذلك بوّب الإمام البخاري رحمه الله في كتاب العلم بابًا يحمل هذا العنوان، فلا بد لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون عالمًا بما يأمر وينهى، فقد ينهى عن منكر وهو معروف، ويأمر بمعروف وهو منكر؛ إذا لم يكن يعلم... وحدّث ولا حرج عمن يخلطون بين المسائل لجهلهم ولقلة علمهم.

٢- الحكمة والحلم: وكذلك ينبغي على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حليمًا لا يقابل الإساءة بمثلها، بل يدفع بالتي هي أحسن مع ترك الغضب والانفعال إذا ما جُهل عليه، فضلًا عن أنه يضع الأمور في نصابها، فيستخدم اللين في موضعه ويستخدم الشدة في موضعها، وتلك هي الحكمة التي أمرنا الله أن ندعو الناس بها.

والله من وراء القصد.

قصة مفتراة على الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الهجرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والكتاب في الصحف والمجلات والكتب. وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد **الشيخ/ علي حشيش**

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- هذه القصة اشتهرت على ألسنة الخطباء والقصاص، وانتشرت في بعض الكتب التي صنَّفها مؤلفوها في مناقب الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٢- ومن أهم أسباب ذكر هذه القصة أن الأستاذ الأديب عباس محمود العقاد ذكر هذه القصة في كتابه «عبقرية عمر» (ص١١١)، ومما زاد هذا الكتاب انتشارًا أنه كان مقررًا في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي على طلبة شهادة الثانوية العامة-طبعة وزارة التربية والتعليم- الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية (ط١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

٣- ومن أسباب ذكر هذه القصة أن الأستاذ العقاد لم يكتف بذكر القصة -وهي لم تزد عن خمسة أسطر-، ولكن بمنهجه الاستنباطي أخذت أكثر من عشرين سطرًا.

وحتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذا المنهج؛ قال الدكتور محمد سرحان المحمودي في كتابه «مناهج البحث العلمي» (ص٧٤): «المنهج الاستنباطي منهج أسلوبه الشرح والنظر والتفكر والتأمل والتحليل والاستنباط يستند إلى مُسلَّمات، ثم يستنبط منها ما ينطبق على الجزء المبحوث».

٤- جاء في قصة هجرة الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والتي ذكرها الأستاذ العقاد، واستند عليها في استنباطه؛ حيث قال بصيغة الجزم: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما علمت أن أحدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفيًا إلا عمر بن الخطاب». وكما سنبين من المتن أنه مضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا، ثم وقف على الخلق واحدة واحدة يقول لهم: «من أراد أن يثكل أمه، أو يوتم ولده، أو يرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي».

٥- بعد أن ذكر الأستاذ العقاد هذا الخبر الذي جاءت به القصة استنبط من هذا الخبر الذي فيه تحدي عمر بن الخطاب لقريش استنباطات،

وجمع هذه الاستنباطات في قوله: «لقد كان في تحدّيه هذا لقريش عدّتان: شجاعته وعدله». اهـ.

ثم أخذ الأستاذ العقاد يبين عدتي تحدّي عمر بن الخطاب لقريش:

العدة الأولى: الشجاعة، والعدة الثانية: العدل، وربط بينهما فقال: «فما كانت شجاعته في هذا التحدي بأظهر من عدله، ولا كان عدله فيه بأظهر من شجاعته». اهـ.

٦- وهذه الاستنباطات التي ذكرها الأستاذ العقاد من قصة هجرة عمر بن الخطاب تلك القصة التي ذكرها في كتابه «عبقرية عمر»، والتي قررتها وزارة التربية والتعليم على طلاب شهادة الثانوية العامة كما بينا آنفًا: هذه القصة لم تصح، والأستاذ العقاد -عفا الله عنا وعنه- لم يذكر لها تخريجًا ولا تحقيقًا كما يقتضيه البحث العلمي لعلم الحديث حتى يقف على حقيقة القصة التي ذكرها.

قال الإمام السيوطي في ألفيته:

علم الحديث ذو قوانين تُحدّ
يُدرى بها أحوال متن وسند
فذانك الموضوع والمقصود
أن يعرف المقبول والمردود

قلت: وهذه القصة سنبين من التخريج والتحقيق أنها قصة واهية خبرها مردود، وما روي من إعلان عمر الهجرة وتهديده وتحديه من يلحق به لم يصح ولم يثبت.

والقاعدة في الاستنباط: «أثبت العرش ثم انقش».

لقد أثبت الأستاذ العقاد -بهذا الخبر الذي لم يصح- شجاعة عمر التي لم يصل إلى درجتها أحدٌ من الصحابة، فما منهم من أحد إلا هاجر مختفيًا.

٧- وإن تعجب فعجب أن الأستاذ العقاد عندما ذكر قصة هجرة عمر في كتابه «عبقرية عمر» (ص١١١) ذكر قصة متعلقة بإسلام عمر، وجعلها مرتبطة بهذه القصة تمام الارتباط في (ص١١٠)، فذكر أن عمر جاء إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فكبّر أهل الدار، وراح عمر يسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم، وإن حييتم». قال عمر: ففيمَ الاختفاء؟

والذي بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجنا في صفين: حمزة في أحدهما وأنا في الآخر، لهما كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد، فنظرت إليّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها. اهـ.

قلت: والأستاذ العقاد -عفا الله عنا وعنه- لم يذكر لهذه القصة أيضًا تخريجًا وتحقيقًا، وسنبين أيضًا أنها قصة واهية، والأمر كان يقتضي قاعدة الاستنباط: «أثبت العرش ثم انقش»، ولكنه بغير تخريج ولا تحقيق استنبط شجاعة عمر بن الخطاب بنفي الاختفاء عنه في القصتين:

ففي القصة الأولى قصة هجرة عمر لم يهاجر مختفيًا، وما من أحد من المهاجرين إلا هاجر مختفيًا، وأن عمر هاجر علانية مع تهديده وتحديه لكل من يلحق به من قريش واستنبط شجاعته من تحديه لقريش.

وفي القصة الأخرى: عندما سأل عمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم أو حييتم» قال: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن، فأخرجنا في صفين...

واستنبط الأستاذ العقاد من هذه القصة ماهية الشجاعة، فقال: «وما الشجاعة إن لم تكن هي الجرأة على الموت كلما وجب الاجتراء عليه؟ وأي امرئ أولى بالجرأة من الشجاع الذي يعلم أن

الحق بين يديه؟ ألسنا على الحق إن حيينا وان متنا؟». اهـ.

وهذه القصة أيضًا قصة باطلة، وهذا السؤال لم يسأله عمر رضي الله عنه للنبي وكذلك لم يصح عن عمر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ففيم الاختفاء؟ سواء سؤال أو عتاب، وليس بأشجع من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقسم على النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج، بعد العتاب على الاختفاء ولا يصح أنهم أخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد الاختفاء في صفين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر لهما كديد ككديد الطحين من شدة الصوت تلك القصة الباطلة التي يتخذها أهل الباطل دليلاً شرعيًا للمظاهرات استنباطًا من هذه القصة الواهية.

ثانيًا: تخريج وتحقيق هذه القصة: (قصة خروج النبي صلى الله عليه وسلم بين عمر وحمزة):

هذه القصة أخرجها أبو نعيم في «الحلية» (٤٠/١)، وفي «دلائل النبوة» (ص١٩٤) عن إسحاق بن عبد الله، عن أبان بن صالح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب... الحديث.

وعلته: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٢٧/٢) رقم (٧٩٢): «سمعت أبي يقول: إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: متروك»، ثم أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن يحيى بن معين قال: «إسحاق بن أبي فروة كذاب»، وبسند آخر عن يحيى أنه قال: «إسحاق بن أبي فروة: لا شيء كذاب»، وقال سمعت أبا زرعة يقول: «إسحاق بن أبي فروة ذاهب الحديث متروك الحديث».

الاستنتاج: نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل أن إسحاق بن أبي فروة: متروك الحديث ذاهب الحديث، لا شيء، كذاب.

إذن الحديث موضوع وهو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: تخريج وتحقيق قصة هجرة عمر علانية وتهديده وتحديه لقريش:

هذه القصة وما روي فيها عن علي بن أبي طالب من علانية هجرة عمر وتهديده من يلحق به لم تصح؛ وأخرجها ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري في كتابه «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (١٣١/٤) بسند بلغ اثنا عشر راويًا إلى عليّ، ومداره على الزبير بن محمد بن خالد العثماني: حدثنا عبد الله بن القاسم الأيلي، عن أبيه بإسناده إلى علي وهؤلاء الثلاثة باستقراء كتب الجرح والتعديل لم يذكرهم أحد من أهل الجرح والتعديل مطلقًا فهم في عداد المجاهيل، وبهذا لم يصح ما ذكره الأستاذ العقاد فيما نقله في القصتين لوجود الكذابين والمتروكين والمجهولين ونحن نعذره؛ لأن الحديث لم يكن صناعته، مع تقديرنا لمكانته الأدبية.

القاعدة الذهبية لشفاء الصدور:

قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١٠٣١/٣):

«كم من إمام في فن مقصر عن غيره كسيبويه مثلاً إمام في النحو لا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نواس رأس في الشعر عريّ من غيره، وعبد الرحمن بن مهدي إمام في الحديث لا يدري ما الطب قط، وكمحمد بن الحسن رأس في الفقه ولا يدري ما القراءات، وكحفص إمام في القراءة تالف في الحديث».

«وللحروب رجال يُعرفون بها».

وفي الجملة: وما أوتوا من العلم إلا قليلاً.

وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل، في أناس قليل، ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد الشيخ/ علي حشيش

«مَن أرضى سلطانًا بما يُسخط ربه، خرج من دين الله».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٦٣) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «ك عن جابر».

قلت: «ك» ترمز للحاكم في «مستدركه».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث «موضوع».

فائدة: وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة هذا المصطلح لابد من بيان معناه الاصطلاحي، ورتبته، وحكم روايته، في عبارة جامعة مانعة قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع»، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه. اهـ.

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث من خلال التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولًا: التخريج:

الحديث أخرجه: الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم في «المستدرك» (١٠٤/٤) آخر حديث في كتاب الأحكام، قال: أخبرنا أبو بكر بن إسحاق، أنبأنا محمد بن أيوب، أنبأنا غسان بن مالك، حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن، عن علاق بن أبي مسلم قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أرضى سلطانًا...» الحديث.

ثانيًا: التحقيق:

قال الحاكم: «هذا الحديث تفرد به علاق بن أبي مسلم، والرواة إليه كلهم ثقات». اهـ.

قلت: وهذا القول من الإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم -عفا الله عنا وعنه- فيه نظر-؛ لأن الراوي عن علاق بن أبي مسلم هو عنبسة بن عبدالرحمن ليس بثقة:

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٠٢/١/٣): «عنبسة بن عبد الرحمن بن عنبسة القرشي، سألت أبي عنه فقال: هو متروك الحديث؛ كان يضع الحديث». اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٧٨/٢): «عنبسة بن عبد الرحمن القرشي صاحب أشياء موضوعة وما لا أصل له مقلوب لا يحل الاحتجاج به».

وقال أخبرني الحنبلي قال: سمعت أحمد بن زهير، عن يحيى بن معين قال: عنبسة بن عبد الرحمن ليس بشيء. اهـ.

٣- وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٣٩/١/٤): «عنبسة بن عبد الرحمن تركوه». اهـ.

٤- وقال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٦١/٥) (١٤٠٦/٤٣٨): «عنبسة بن عبد الرحمن القرشي: منكر الحديث».

وقال سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: «عنبسة بن عبد الرحمن القرشي منكر الحديث تركوه، وقال النسائي: متروك الحديث». اهـ.

فائدة: قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): قول البخاري في الرجل «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين، ففي الميزان للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان: أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

الاستنتاج: نستنتج من أقوال أئمة الجرح والتعديل: أن عنبسة بن عبدالرحمن القرشي متروك الحديث، منكر الحديث، يضع الحديث.

إذن الحديث «موضوع».

الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال (٢)

أبو الحسن الأشعري مع إثباته الصفات... يكشف زيغ فرق المجسمة ومدعيها على أهل السنة، ويدحض حججهم

إعداد **أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي**
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد وقفنا فيما مضى على ما ذكره إمام المذهب بحق التجسيم، وأوضحنا أن لا فرق بين المتكلمة وأهل السنة في نفي التجسيم عن الله تعالى وصفاته، وأن الفرق بينهما يكمن في نظرة كلٍّ إلى الإجمال والتفصيل فيما ينبغي نفيه أو إثباته في باب الصفات. يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين) ص٢٠٧: "قد أخبَرْنا عن المنكرين للتجسيم أنهم يقولون: «إن الباري ليس بجسم ولا محدود ولا ذي نهاية» يعني: إلى غير ذلك من صفات السلوب ونعوت المعدوم التي اخترعها المعتزلة ومن كان على شاكلتهم من المتكلمة، واستعاضوا بها عن طريقة أهل السنة التي تقضي بالنفي المجمل والإثبات المفصل، في إشارة منه إلى أن للنافين التجسيم عن صفات الله طريقتين:

إحداهما: التوسع في ذكر صفات الإثبات: وهي طريقة أهل السنة والتي ذكرها الأشعري ص٢١١، ٢٩٠ وما بعدها من (المقالات)، وتَقضي على نحو ما رأينا آنفًا: بأن النقائص يجب نفيُها عن الله مطلقًا، وأما صفات الكمال - وهي جميع ما جاء به الوحي من الصفات الخبرية من نحو: (اليدين والوجه)، والفعلية من نحو (الاستواء والنزول) - فتُفصَّل ويُنفي عنها التمثيل والتشبيه؛ والتكييف والتجسيم.

وثانيهما: بالتوسع في ذكر صفات النفي، وهي التي سلكها المعتزلة الذين صرحوا بذلك قائلين فيما نقله الأشعري عنهم في المقالات ص١٥٥: «إن الله واحد.. ليس بجسم ولا صورة ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض، ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسَّة، ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء.. وليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم، ولا يوصف بأنه متناه، ولا يوصف

بمساحة ولا ذهاب في الجهات، وليس بمحدود ولا والد ولا مولود، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الحواس ولا يُقاس بالناس، لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا يُسمع بالأسماع، شيء لا كالأشياء.. إلخ".

فخالفوا بنفيهم المفصل هذا طريقة أهل السنة وإن وافقوهم في نفي التجسيم، كما «خالفوا - على ما حكى الأشعري ذلك عنهم في الإبانة ص٤٦ - روايات الصحابة في رؤية الله بالأبصار، ودفعوا - باستلزاماتهم الباطلة - أن يكون له يدان مع قوله سبحانه (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص:٧٥)، وأنكروا أن يكون له عينان مع قوله: (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ) (طه:٣٩)، وأنكروا أن يكون له قوة مع قوله: (ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) (الذاريات:٥٨)، ونفوا ما ثبت عن رسول الله من (أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا)». فعطلوا - بما نفوه - رؤية الله وسائر صفاته وأفعاله، وكان هذا على حدّ قول الأشعري أيضًا «جملة قولهم في التوحيد؛ وقد شاركهم في هذه الجملة: (الخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الشيعة)، وإن كانوا للملة التي يظهرونها ناقضين؛ ولها تاركين».

وقد تبع هؤلاء جميعًا: الأشاعرة للأسف، واشتهر عنهم نفي المكان عن الله وهم يعنون به: (العلو والفوقية والاستواء)، فكان نتيجة ما قالوه في نعوت السلب: ما حكاه عنهم السنوسي، وكذا البيجوري في قوله على شرح (جوهرة التوحيد) لإبراهيم اللقاني ص١٠١ وما بعدها -وقد عظُمت بهم البلوى-: «والحاصل: أنه إذا ورد في القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة والمشبهة على تأويل ذلك، لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذُكر بحسب ظاهره».

هكذا يتهم هذا البيجوري ومن على شاكلته أهل السنة وسلف الأمة بالتجسيم المستلزم التكفير عياذًا بالله.. وما لبث البيجوري -بسبب ما وقع فيه من خلل التأويل والتعطيل وكذلك التفويض- ومعه سائر الأشاعرة أن جعلوا الصحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم من السلف الصالح وجميعَ أئمة أهل الحق؛ بل والرسولَ نفسَه سيدَ المثبتين، في عداد المشبهة والمجسمة، بل وأدخلوا كل ما تأولوه هم وزعموا أن السلف فوضوا معناه إلى الله، تحت بند ما يستحيل بحقه تعالى.

يقول البيجوري -وقد فتن به كثيرون- مواصلاً خلطه ومزاعمه وتحريه الكذب على أهل السنة؛ وادعاءه عليهم بأنهم يقولون بتفويض معاني الصفات، ونافيًا جميع الصفات (الخبرية والفعلية) جراء نفيه المُفصّل وتنزيهه المشوب بالتعطيل لجميع صفات الخبر والفعل، يقول: «ومما يوهم الجسمية قوله تعالى: (وَجَآءَ رَبُّكَ) (الفجر:٢٢)، وحديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا) الحديث، فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمهما، والخلف يقولون: المراد: (وجاء عذاب ربك؛ أو أمر ربك الشامل للعذاب)، و(ينزل ملك ربنا فيقول عن الله.. إلخ).. ومما يوهم الجوارح قوله تعالى: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ) (الرحمن:٢٧)، (يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (الفتح:١٠)، وحديث: (إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين إصبعين من أصابع الرحمن)، فالسلف يقولون: لله وجه ويد وأصبع لا نعلمها، والخلف يقولون: المراد من الوجه: الذات، ومن اليد: القدرة، والمراد من قوله: (بين أصبعين): صفتا القدرة والإرادة.. كما يستحيل عليه تعالى المماثلة للحوادث بأن يكون جرمًا سواء كان مركبًا ويسمى جسمًا أو غير مركب ويسمى

جوهرًا، أو بأن يكون جهة للجرم، فليس الله فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله و.. ليس له فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال» إلى آخر ذلك.

وسبحان الله!؛ فما قال بأيٍّ من ذلك ولا بكلمة واحدة منه، إمام السنة وقامع البدعة أبو الحسن الأشعري، ولا أحدٌ غيره من أهل الحق الذين قضوا، ولا ندري ما الفرق بين الأشاعرة في ذلك وبين فرق الضلال التي نص الأشعري عليها آنفًا، لاسيما وقد أدى اتّباعهم طريقة الجهمية والمعتزلة في النفي المفصل، إلى الكذب على أهل الحق والادعاء بأنهم كانوا مفوضة ومجسمة، وإلى قصر الصفات على سبع وتعطيل وتأويل ما عداها، فيا ويح من ترك ما هو معروف في الكتاب والسنة وآثر عليه الهوى فأعماه عن نور الوحي! وقد مرّ بنا ما به تقوم الحجة على من مال إلى هذه الطريقة؛ وآثرها على منهج أهل السنة والجماعة في إثبات كل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلوات الله وتسليماته عليه.

من نتائج قول الأشعرية بالنفي المفصل والإثبات المجمل:

على أن ما ذكرناه هنا للأشاعرة جد خطير.. ولازمُه أن العقل هو الأصل فيما تعلق من العقائد بتوحيد الصفات، وعليه تُعرض أدلته، فما وافق منها عقل المتكلم من الأشاعرة وغيره؛ قَبِلَه، وما خالفه حرّفه تأويلاً، أو عطله تفويضًا.

ولازمه كذلك التقديم بين يدي الله ورسوله ومخالفة نصوص الوحي، وتقديم العقل على النص، بل وتقديسه إلى حدّ أوصل بعضهم - وهو: (الصاوي) في حاشيته على تفسير الجلالين ٣/ ١٠ - لأن يصرح بأن "الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الضلالة"، وببعضهم الآخر - وهو: (السنوسي) في شرح الكبرى ص ٨٢، ٨٣ - لأن يقول: "وأما من زعم أن الطريق إلى معرفة الحق: الكتاب والسنة، ويُحرِّمُ ما سواهما، فالرد عليه: إن حجتيهما لا تُعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضًا: فقد وقعتْ فيهما - يعني: الكتاب والسنة - ظواهر من اعتقدَها على ظاهرها: كفَر عند جماعة أو ابتَدع".

ويقول فيه أيضًا: "أصول الكفر ستة - وذكر في السادس منها: - التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة".. قال: "والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل: هو أصل ضلال الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة، عملاً بظاهر قوله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) (طه/٥)، (ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ) (الملك/١٦)، (لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ) (ص/٧٥)، ونحو ذلك".

وتلك - وايم الله - فجيعة الدهر، وجريرة لا يمكن السكوت عنها، كونهما قد جعلا - وجميع من كان على شاكلتهما - النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين: حشوية، وجعلا ما هم عليه: ضلالة وتشبيهًا وتجسيمًا.. ولطالما نادى أصحاب كتب الاعتقاد بردّ هذا وبالتمسك بظواهر نصوص الكتاب والسنة في باب الصفات وغيرها وحذّروا من مخالفتها، وذلك استنادًا إلى نصوص الوحي الصريحة في ذلك.

وكان مما ردّ به الحافظ أبو بكر الخطيب ت ٤٦٣ - فيما نقله عنه الذهبي في العلو ص ١٨٥ والألباني في مختصره ص ٢٧٢ وابن قدامة في (ذم التأويل) ص ١٧ - ما جاء في قوله: إن "الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ونحتذي في ذلك حذوه ومثاله، وإذا كان معلومًا أن إثبات رب

العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف. فإذا قلنا: (يد وسمع وبصر)، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى (اليد): (القدرة).. ولا نقول: إنها جوارح وأدوات للفعل، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها".. فأنّى لها بعدُ؛ أن تكون مُوهمة أو غير يقينية أو يأباها العقل ولا يدل عليها، اللهم إلا في ذهن مُدَّعي ذلك؟!

الفرق بين أهل الحق وأهل الزيغ
فيما هو مستحيل في حق الله تعالى:

لقد تلخص ما يستحيل بحقه تعالى فيما أفاده السنوسي في (أم البراهين) ص ١٢٠، وما بعدها ونقله عنه البيجوري ص ١٠٥، في: قرابة العشرين صفة، وهي أضداد العشرين المُثبَتة لديهم، وهي:

١-(العدم) وهو ضد الوجود، ٢-و(الحدوث)، وهو نقيض القدم، ٣- و(طروء العدم) أو (الفناء) وهو نقيض البقاء، واستحالة العدم تستلزم استحالة الصفتين الأخيرتين.

٤-و(المماثلة للحوادث) وتشمل: المماثلة لها في الذات:

(أ)-بأن يكون (جرمًا) أي تأخذ ذاته العلية قدرًا، أو حيزًا من الفراغ بحيث يجوز أن يسكن في ذلك القدر أو يتحرك عنه، (مركبًا كان هذا الجرم ويسمى: جسمًا)، أو (غير مركب ويسمى: جوهرًا فردًا)، (ب)-أو يكون (عَرَضًا) يقوم بالجرم كحركة وسكون واجتماع وافتراق، (جـ)-أو يكون (في جهة) للجرم فليس فوق العرش ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ونحو ذلك، (د)-أو (له جهة) فليس لذاته فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ونحو ذلك، (هـ)-أو (يتقيد بمكان) بأن يكون فوق العرش أو في السماء، (و)-أو (يتقيد بزمان) بحيث تكون حركة الفلك منطبقة عليه، أو يَكُر عليه الجديدان: الليل والنهار، (ز)-أو (يتصف بالصِّغر) بمعنى: قلة الأجزاء، (حـ)-(أو بالكِبَر) بمعنى: كثرتها؛ وعليه أوّلوا قوله تعالى: (ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ)(الرعد/٩) بأنه كبير في المرتبة والشرف.

كما تشمل المماثلة في الصفات: إذ يستحيل أن: (ط) تتصف ذاته العلية بـ(الحوادث في الصفات) كالقدرة الحادثة والإرادة الحادثة والحركة أو السكون.. (ي)-و(المماثلة في الأفعال)، كأن: يتصف بـ(الأغراض في الأفعال) كإيجاد العالم ورزقه، و(الأحكام) كإيجاب الصلاة، وإنما استحال عليه أن يكون فعله أو حُكمه لغرض؛ لأن المصلحة إن كانت ترجع إليه لزم اتصافه بالحوادث، إذ لا تحصل له المصلحة إلا بعد الفعل أو الحكم الحادثين، ومعلوم استحالة اتصافه تعالى بالحوادث، وإن كانت المصلحة ترجع إلى خلقه لزم احتياجه في إيصال المنفعة لخلقه إلى واسطة، واحتياجه لذلك باطل" إلخ ما جاء في حاشية الدسوقي على أم البراهين للسنوسي ص١٣٠.

هكذا أداهم التفصيل في ذكر السلوب إلى نفي الكثير من صفات الله صراحة، وقد جاء منهم في صورة منمقة وكلام معسول يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا ما تأمله وحسبه مقبولاً؛ إذا به وقد وجده سرابًا بل وسمًّا زعافًا.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

لا إله إلا الله

إعداد **الشيخ إبراهيم حافظ رزق**

فاعلم أنه لا إله إلا الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لتوحيده وعبادته وإخلاص العمل له وحده على الوجه الذي بينه على لسان أنبيائه ورسله، فقال تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات: ٥٦).

ومن أجل تحقيق العباد لهذه المهمة أرسل الله تعالى الرسل، وأنزل الكتب، « لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » (النساء: ١٦٥).

وأخبرنا الله ﴿ في كتابه أنه سبحانه ما بعث من نبي ولا أرسل من رسول إلا كانت مهمته الأولى دعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته، قال الله تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (النحل: ٣٦)، وقال تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (الأنبياء: ٢٥).

وقد وجَّه الله الأمر للأمة كلها في شخص نبيها عليه الصلاة والسلام قائلاً: « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ » (محمد: ١٩)، بمعنى تعلَم أن إلهك ومعبودك إله واحد لا شريك له في ألوهيته ولا ربوبيته، ولا في أسمائه وصفاته. فالعلم بمعنى لا إله إلا الله أشرف العلوم وأعظمها؛ لأنه يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى، والكثيرون هم الذين يجهلون معنى هذه الكلمة العظيمة، والتي من أجلها خلق الله السماوات والأرض، ومن أجل تحقيقها خلق الله الخلق، ومن أجلها أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، ومن أجلها تُنصب الموازين وتُنشر الدواوين يوم الدِّين، وينقسم الناس حينها إلى فريقين؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير، فمن حقق لا إله إلا الله قولاً وعملاً كان من السعداء

أهل الجنة، ومن جهل معنى لا إله إلا الله ولم يقم بحقها كان من الأشقياء، عياذًا بالله.

ولا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، والتي لو خُتم للإنسان بها كان من أهل الجنة، كما في الحديث الذي رواه أبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». قال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود: صحيح.

وفي صحيح مسلم قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة». وفي البخاري ومسلم من حديث أبي ذر قوله عليه الصلاة والسلام: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة». وفي صحيح مسلم: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله».

ومن فقه الإمام البخاري رحمه الله أنه ذكر في كتابه الجامع الصحيح : كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل، «فاعلم أنه لا إله إلا الله»، فلا بد من معرفة هذه الكلمة المباركة، فلا إله إلا الله تعني لا معبود بحق سوى الله، فهي تنفي الألوهية عن كل ما سوى الله وتثبتها لله وحده، فالله وحده المستحق للعبادة ولا يستحقها معه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا ولي صالح، فهو سبحانه أهل أن يُعبد، فلا يعبد معه غيره، وأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك، كما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

وفي رواية ابن ماجه: «فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك».

فالقول: إن معنى: لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله؛ لأن هناك معبودات كثيرة عُبدت من دون الله بغير حق، فالله سبحانه هو الإله المعبود الحق، وكل ما عبده الناس من دون الله إنما عبدوه بالباطل، يقول الله تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ» (الحج: ٦٢)، فقد تعددت صور الشرك في بني آدم منذ نوح عليه السلام، فمنهم من عبد الشمس والقمر، ومنهم من عبد الحجر والشجر، ومنهم من عبد الجن والملائكة، ومنهم من عبد الأولياء والصالحين، ومنهم من عبد المرأة والولد، ومنهم من عبد المال، فصارت كل هذه المعبودات وغيرها في قلوب كثير من البشر آلهة معبودة من دون الله.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش». فأخبر عليه الصلاة والسلام أن من الناس من يكون عبدًا للدينار والدرهم وغير ذلك، مما يجعل تلك الأشياء وغيرها في قلب العبد معبودة من دون الله سبحانه وتعالى.

وللأسف الشديد فإن الكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام يجهلون المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد، فهم يقولونها بألسنتهم ثم هم يأتون بما يناقضها من دعاء غير الله وحلف بغير الله وذبح لغير الله، وتعظيم لغير الله من الموتى والمقبورين، وسؤالهم ما لا يُسأل إلا من الله من كشف للكربات، وقضاء الحاجات، واجابة

الدعوات، وشفاء المرضى، وكل ذلك وغيره مما ينافي كلمة التوحيد.

ونقول أيضًا: إنه للأسف الشديد كان أهل الجاهلية الذين واجههم القرآن كانوا يدركون معنى كلمة التوحيد أكثر ممن ينتسبون إلى الإسلام في أيامنا هذه، فلقد أدرك الجاهليون أنهم إن نطقوا بهذه الكلمة، فإنها تعني أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم، وأنهم لا بد لهم من إفراد الله وحده بالعبادة، ولذلك رفضوا النطق بهذه الكلمة، مع أنهم كانوا يعلمون أن الله هو خالقهم ورازقهم، وفي القرآن الكريم: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ » (العنكبوت: ٦١)، ومع إقرارهم بربوية الله سبحانه فإنه لما طُلب منهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، قالوا: « أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ » (ص: ٥)، وكما قال قوم هود: « قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ » (الأعراف: ٧٠).

وأخبرنا القرآن أن هناك من الناس من يستكبر ويستنكف عن الانقياد لهذه الكلمة، ولما تقتضيه من إفراد الله بالعبادة والوحدانية، فقال تعالى: « إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ » (الصافات: ٣٥، ٣٦)، ويقول تعالى: « ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ » (غافر: ١٢).

ويقول تعالى عن حال بعض الناس: « وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا » (الإسراء: ٤٦)، ويقول تعالى: « وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ » (الزمر: ٤٥).

وحين يقول الله تعالى: « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فالعلم بمعنى هذه الكلمة هو أول شروط لا إله إلا الله، والجهل بمعناها وبما تقتضيه من إفراد الله بالعبادة يفسد على المرء علاقته بربه سبحانه وتعالى، ويجعل قلب العبد يتعلق بغير خالقه سبحانه وتعالى، فربما عَبَدَ الله وعبد معه غيره، فيقع في الشرك بالله نتيجة جهله بالمعنى الحقيقي لكلمة التوحيد.

ولا بدَّ مع العلم بمعنى هذه الكلمة والإخلاص في قولها والانقياد لما توجبه هذه الكلمة على قائلها من القيام بحق الله وعدم الإشراك في عبادته وطاعته سبحانه في كل ما أوجب على عبده من فرائض وواجبات مع كامل المحبة من العبد لكل ما أوجبه الله عليه حين شهد أنه لا إله إلا الله.. إلى آخر ما ذكره أهل العلم من شروط لا إله إلا الله.

وفي الختام نقول: إنه ينبغي على المسلم أن يتجنب كل ما يناقض كلمة التوحيد من الشرك في الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات، وكذلك عليه أن يتجنب ما يفسد عليه عمله من شرك في الدعاء، أو الرياء في الأعمال، أو محبة غير الله أكثر من محبته لربه سبحانه وتعالى؛ حتى يكون من أهل لا إله إلا الله، كما قال الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام: « فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا » (الفتح: ٢٦). جعلنا الله وإياكم من أهل لا إله إلا الله، ونسأل الله سبحانه أن يحيينا عليها وأن تكون آخر كلامنا من الدنيا، وأن يحشرنا في الآخرة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الغفلة عن صلاة الفجر

إعداد **الشيخ صلاح عبد الخالق**

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام.

أما بعد: فقد أخرج الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، قَالَ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ" (صحيح البخاري ٣٢٦٩، وصحيح مسلم ٧٧٦).

ماذا يفعل الشيطان بالنائم عن الصلاة؟

(١) يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ: الذي يقوم بهذا الشيطان اللعين؛ قال تعالى: « إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ » (فاطر: ٦).

فـ« الشَّيْطَانُ » الذي هو عدوكم في الحقيقة: « فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا » أي: لتكن منكم عداوته على بالٍ، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائمًا لكم بالمرصاد. (تفسير السعدي: ص٦٨٤).

(٢) "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ".

(أ) "يَعْقِدُ" أَيْ: يَشُدُّ "الشَّيْطَانُ"، أَيْ: إِبْلِيسُ، "عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ" أَيْ: مؤخرة الرأس (قَفَاهُ). (مرقاة المفاتيح ٣/٩٢١).

(ب) لماذا القفا خصيصًا؟

وَكَأَنَّ تَخْصِيصَ الْقَفَا بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ مَحَلَّ الْوَهْمِ وَمَجَالَ تَصَرُّفِهِ، وَهُوَ أَطْوَعُ الْقُوَى لِلشَّيْطَانِ وَأَسْرَعُهَا إِجَابَةً لِدَعْوَتِهِ. (فتح الباري ٣/٢٦).

إنما يربط على مؤخرة الرأس (القفا) خاصة؛ لأنها مركز القوى، فإذا ربط عليها أمكنه السيطرة على روح الإنسان، والقاء النوم عليه (منار القاري ٢/٣٣٣).

يوجد في مؤخرة الرأس (القفا) أجهزة لحفظ توازن الجسم، وأي خلل فيها يؤدي إلى فقد توازن الجسم.

(ج) يعقد الشيطان بالحبل على القفا: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "عَلَى ابْنِ آدَمَ ثَلَاثُ عُقَدٍ بِجَرِيرٍ إِذَا بَاتَ مِنَ اللَّيْلِ" (مسند أحمد ١٠٤٥٣، وصححه محققاه).
والْجَرِيرُ: الْحَبْلُ يُقَادُ بِهِ (المعجم الوسيط ١١٦/١).

(٣) يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: التَّقْيِيدُ بِالثَّلَاثِ إِمَّا لِلتَّأْكِيدِ، أَوْ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَهُ عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: الذِّكْرِ وَالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، فَكَأَنَّهُ مَنَعَ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِعُقْدَةٍ عَقَدَهَا عَلَى رَأْسِهِ. (فتح الباري ٢٦/٣). "يَضْرِبُ" أَيْ: بِيَدِهِ تَأْكِيدًا أَوْ إِحْكَامًا عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ (مرقاة المفاتيح ٩٢١/٣).

وَمَعْنَى يَضْرِبُ يَحْجُبُ الْحِسَّ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى لَا يَسْتَيْقِظَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا» (الكهف: ١١)؛ أَيْ: حَجَبْنَا الْحِسَّ أَنْ يَلِجَ فِي آذَانِهِمْ فَيَنْتَبِهُوا (فتح الباري لابن حجر ٢٥/٣).

(٤) عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ:

يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، ويتلو عليها بعض الكلمات، مخاطبًا نفس النائم بقوله: "عليك ليل طويل"؛ أي قد بقي قدر طويل من الليل فنم ما شئت، فإنك إذا استيقظت وجدت الوقت الكافي لأداء صلاة الليل أو صلاة الصبح في وقتها، "فارقد" فإن الوقت لا يزال مبكرًا. (منار القاري: ٣٣٣/٢). «وَمَقْصُودُ الشَّيْطَانِ بِذَلِكَ تَسْوِيفُهُ بِالْقِيَامِ وَالْإِلْبَاسُ عَلَيْهِ (فتح الباري لابن حجر: ٢٥/٣)، والمراد منه تثقيله في النوم وإطالته.

(٥) يَبُولُ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: "ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ" (صحيح البخاري ٣٢٧٠، وصحيح مسلم ٧٧٤).

ذُكِرَ عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقيل: ما يزال نائمًا حتى أصبح "أي استمر نائمًا، ولم يصلِّ الصبح حتى طلعت عليه الشمس. "فقال: بال الشيطان في أذنه": حقيقة، فسدَّ أذنيه عن سماع أذان الفجر، وأرخى عليه النوم، حتى فاتته صلاة الصبح. (منار القاري: ٣٣٤/٢).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ: "ثَبَتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَنْكِحُ، فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَبُولَ، وَقِيلَ هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ سَدِّ الشَّيْطَانِ أُذُنَ الَّذِي يَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى لَا يَسْمَعَ الذِّكْرَ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَاسْتَخَفَّ بِهِ حَتَّى اتَّخَذَهُ كَالْكَنِيفِ الْمُعَدِّ لِلْبَوْلِ؛ إِذْ مِنْ عَادَةِ الْمُسْتَخِفِّ بِالشَّيْءِ أَنْ يَبُولَ عَلَيْهِ. وقيل : معناه أن الشيطان استولى عليه ، واستخف به ، حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول ؛ إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه . وقيل : هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم ، كمن وقع البول في أذنه ، فثقل أذنه ، وأفسد حسه ، والعرب تكني عن الفساد بالبول. (فتح الباري ٢٨/٣).

ما العلاج؟

من منا يرضى أن يُربط قفاه بحبل ويُضرب عليه ثلاثًا ويُبال في أذنيه؟!

الإجابة: كلنا لا يرضى هذا الاستهزاء والسخرية، وكذلك لا يرضاه لنا النبي صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (التوبة: ١٢٨). وقوله: «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ»: أي يخاف عليكم سوء العاقبة، والوقوع في العذاب. والعنت المشقة والتعب

وقوله: «حَرِيصٌ عَلَيْكُم» أي: حريص على إيمانكم وهدايتكم وعزتكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة. (التفسير الوسيط لطنطاوي ٦/٤٣٣).

خطوات العلاج:

وقد وضع لنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم خريطة علاج لهذه المهزلة اليومية، فاستعمل العلاج خطوة خطوة.

الخطوة الأولى في العلاج المرتب: (ذكر الله تعالى): قال صلى الله عليه وسلم: "فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ":

الإنسان أول ما يقوم بالليل فإنه يضبط المنبه على أن يقوم قبل الفجر بساعة أو بنصف ساعة أو أكثر أو أقل، فأول ما يسمع المنبه لا يطفئه ويكمل نومه، ولكن يستيقظ من نومه، ويذكر الله سبحانه تبارك وتعالى، فيقول ما ثبت عن عُبادة بْن الصامت، عَن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قالَ: "مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقِظُ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ" (صحيح البخاري ١١٥٤، وسنن أبي داود ٥٠٦٠).

قال الإمام النووي: "وَلا يَتَعَيَّنُ لِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ ذِكْرٌ، لَكِنَّ الأَذْكَارَ الْمَأْثُورَةَ فِيهِ أَفْضَلُ". (شرح النووي ٦/٦٦).

فإذا ذكرت الله انحلت العقدة الأولى عنك.

الخطوة الثانية: الوضوء: قال صلى الله عليه وسلم: "فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ".

الْوُضُوء عَوْن كَبِير عَلَى طَرْد النَّوْم. (فتح الباري ٣/٢٨)، والوضوء سلاح المؤمن يطرد به الشيطان ويتخلص منه.

الخطوة الثالثة: الصلاة: قال صلى الله عليه وسلم: "فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا": بِالصَّلاةِ تَنْحَلُّ عُقَدُ الشَّيْطَانِ كُلُّهَا، وَيَنْجُو الْمُسْلِمُ مِنْ كَيْدِهِ، وَمِنْ شَرِّ عُقَدِهِ. ولو بركعتين خفيفتين، والسِّرّ فِي اسْتِفْتَاحِ صَلاةِ اللَّيْلِ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى حَلِّ عُقَدِ الشَّيْطَانِ، وَالْحَلُّ التَّامُّ لا يَتِمُّ إِلاَّ بِتَمَامِ الصَّلاةِ، وَهُوَ وَاضِحٌ. (فتح الباري ٣/٢٧).

نتائج الاستيقاظ للصلاة ومساوئ الاستسلام للنوم

هناك فريقان منتصر ومهزوم:

(١) المنتصر على الشيطان: قال صلى الله عليه وسلم: "فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ".

فكانت جائزته في قوله صلى الله عليه وسلم: "فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ": (أ) لِسُرُورِهِ بِمَا وَفَّقَهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَوَعَدَهُ بِهِ مِنْ ثَوَابِهِ، مَعَ مَا يُبَارَكُ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَتَصَرُّفِهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ، مَعَ مَا زَالَ عَنْهُ مِنْ عُقَدِ الشَّيْطَانِ وَتَثْبِيطِهِ. (شرح النووي ٦/٦٦).

(ب) "فَأَصْبَحَ" أَيْ: دَخَلَ فِي الصَّبَاحِ أَوْ صَارَ "نَشِيطًا"، أَيْ: لِلْعِبَادَةِ "طَيِّبَ النَّفْسِ"، أَيْ: ذَاتَ فَرَحٍ؛ لأَنَّهُ تَخَلَّصَ عَنْ وِثَاقِ الشَّيْطَانِ، وَتَخَفَّفَ عَنْهُ أَعْبَاءُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ، وَحَصَلَ لَهُ رِضَا الرَّحْمَنِ" (مرقاة المفاتيح ٣/٩٢١).

(٢) المهزوم من الشيطان:

(أ) فَأَصْبَحَ "أَيْ: وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ كَذَلِكَ بَلْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَنَامَ حَتَّى تَفُوتَهُ صَلاةُ الصُّبْحِ: "أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ": مَحْزُونَ الْقَلْبِ، كَثِيرَ الْهَمِّ، مُتَحَيِّرًا فِي أَمْرِهِ "كَسْلانَ": لا يَحْصُلُ مُرَادُهُ فِيمَا يَقْصِدُهُ مِنْ أُمُورِهِ؛ لأَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ الشَّيْطَانِ وَمُبْعَدٌ عَنْ قُرْبِ الرَّحْمَنِ. (مرقاة المفاتيح ٣/٩٢١).

(ب) وإلا أصبح خبيث النفس كسلان: أي قلق النفس فاتر الحركة. (منار القاري ٢/٣٣٣).

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

نعمة النطق

إعداد **الشيخ عبده أحمد الأقرع**

فرع اختناواي

الحمد لله؛ نعمه لا تُعدّ، وإحسانه لا يُحدّ، وأصلي وأسلم على مَن أرسله الله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فدلَّ أُمّته على كل خير وحذَّرها من كلّ شرّ صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فنِعَم الله على عباده لا تُحصَى، ومن أعظم هذه النعم نعمة النطق التي يبين بها الإنسان عن مراده، ومَن فقدها لا يمكنه التفاهم مع غيره إلا بالإشارة أو الكتابة إن كان كاتبًا، قال الله عز وجل: « وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ » (النحل: ٧٦).

وقد أقسم الله بنفسه على تحقيق البعث والجزاء على الأعمال، كما أن النطق حاصل وواقع من المخاطبين، وفي ذلك تنويه بنعمة النطق.

قال تعالى: « فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ » (الذاريات: ٢٣)، وقال تعالى: « خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ » (الرحمن: ٣-٤). وفسَّر الحَسَن "البيان" بالنطق، وفي ذلك تنويه بنعمة النطق التي يحصل بها إبانة الإنسان عما يريده.

وقال تعالى: « أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ » (البلد: ٨-٩). ومن المعلوم أن هذه النعمة إنما تكون نعمة حقًّا إذا استُعمل النطق بما هو خير، أما إذا استُعمل بِشَرّ فهو وبال على صاحبه، ويكون مَن فقد هذه النعمة أحسن حالاً منه، ولذا كثرت وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ اللسان، والتحكم فيه، فقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من يضمن لي ما

بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» رواه البخاري.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني.

وقال صلى الله عليه وسلم: «وهل يكبّ الناسَ في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم».

قال الحافظ ابن رجب في شرحه: "والمراد بحصائد الألسنة: جزاء الكلام المحرَّم وعقوباته، فإن الإنسان زرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا من قول أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شرًا من قول أو فعل حصد غدًا الندامة، وهذا يدل على أن كفّ اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه" اهـ.

وعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم يلقاه» (صحيح الجامع: ١٦١٩). فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث!

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "والذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان".

وعن أبي وائل عن عبد الله: أنه ارتقى الصفا، فأخذ بلسانه فقال: يا لسان: قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم. ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أكثر خطايا ابن آدم في لسانه». (صحيح الترغيب ٢٨٧٢).

وعن أسلم: أن عمر دخل يومًا على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وهو يجبذ لسانه. فقال عمر: مَهْ! غفر الله لك. فقال له أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.

وكان عمر بن الخطاب يقول: من كثر كلامه كثر سَقَطه، ومن كثر سَقَطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كُتب عليه، حتى أنينه في مرضه، فلما مرض الإمام أحمد قيل له: إن طاووسًا كان يكره أنين المرض، فتركه.

الله أكبر! أنين المريض يُكْتَب؟ نعم، فكيف بالغيبة والنميمة والكذب والفحش وكشف العورات، وقذف المحصنات، وغير ذلك؟!

قال عطاء: إن من كان قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لا بد منها، أتنكرون أن عليكم حافظين، كرامًا كاتبين: «عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (ق: ١٧-١٨)؛ أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته؟!

فالزم الصمت فإنه يكسوك صنوف المحبة، ويؤمنك سوء المغبة، ويُلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار.

قال صلى الله عليه وسلم: «عليك بحسن الخُلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده، ما تجمّل

الخلائق بمثلهما» (صحيح الجامع ٤٠٤٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد، والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يُلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول. اهـ.

إن في الناس من يعيش صفيق الوجه، شرس الطبع، لا تحجزه مروءة، ولا يردعه دين أو أدب، جرَّد لسانه مقراضًا للأعراض بكلمات تنضح فحشًا، وألفاظ تنهش نهشًا، يسرف في التجني على عباد الله، وكأنه قد وكل إليه تجريح عباد الله.

وقد حذر الله تعالى من انتهاك حرمات المسلمين وإيذائهم؛ قال تعالى: « وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا » (الأحزاب: ٥٨)، وقال تعالى: « وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا » (النساء: ١١٢).

أمسك عليك لسانك:

أكَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسلم حسن الإسلام هو الذي لا يؤذي المسلمين، فقد سُئل صلى الله عليه وسلم: أي المسلمين خير؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» رواه مسلم. وإذا لم يملك الإنسان نفسه كان فمه مدخلاً لكل ما يعاب فتتلوث السيرة، ويغلظ الحجاب على القلب.

قال صلى الله عليه وسلم: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (صحيح الترغيب ٢٨٦٥).

فلسان العاقل يكون وراء قلبه، فإذا أراد القول رجع إلى القلب، فإن كان له قال، وإلا فلا، عن يحيى بن أبي كثير قال: "ما صلح منطق رجل إلا عُرف ذلك في سائر عمله، ولا فسد منطق رجل قط إلا عُرف ذلك في سائر عمله".

فيا أخي: «قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم».

وليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه.

فرحم الله من حفظ لسانه ليوم فقره.

اللهم نزه ألسنتنا عما يشين، وسخرها في طاعتك يا كريم.

مولد الحسن بن علي رضي الله عنهما

إعداد **د. سيد عبد العال**

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على آله وصحبه أجمعين أما بعد؛ فلا نزال داخل البيت النبوي، ونحن الآن على موعد مع نسمة جديدة في البيت النبوي؛ فمن يكون إذا؟ إنه "الحسن بن علي رضي الله عنهما"

نسبه ومولده رضي الله عنه:

الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِب بنِ عَبْدِ المُطَّلب بنِ هَاشم بنِ عَبْد مَنَاف، الإِمَامُ السَّيِّدُ، رَيْحَانَةُ رَسُوْلِ اللَّه -صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ - وَسِبْطُهُ، وَسَيِّدُ شَبَاب أَهْلِ الجَنَّة، أَبُو مُحَمَّدٍ القُرَشِيُّ، الهَاشِمِيُّ، المَدَنِيُّ، الشَّهِيْدُ.

وُلدَ في رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الهجرَة النَّبويَّة عَلَى الراجح...قال ابن عبد البر: هذا أصح ما قيل في ذلك إن شاء الله. الاستيعاب (١/ ٣٨٤).

تسمية النبي صلى الله عليه وسلم له

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الْحَسَنُ سَمَّيْتُهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " أَرُونِي ابْنِي؛ مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟ " قَالَ: قُلْتُ: حَرْبًا. قَالَ: " بَلْ هُوَ حَسَنٌ "...الحديث. حديث حسن؛ أخرجه أحمد (٧٦٩).

وفيه من الفوائد: اختيار أحسن الأسماء للأولاد.

وَعَقَّ رَسُولُ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ كَبْشًا كَبْشًا يَوْمَ السَّابِعِ مِنْ وِلَادَتِهِمَا، وَسَمَّاهُمَا، وَأَمَرَ أَنْ يُمَاطَ عَنْ رَأْسِهِمَا الأَذَى" حديث حسن أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٣١١).

نشأته في بيت النبوة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ؛ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ؛ فَأَدْخَلَهَا فِي فِيه، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: كِخْ كِخْ؛ فَأَلْقَاهُ؛ فَقَالَ: أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا. البخاري (١٤٩١).

مناقبه وفضائله:

قد وردت أحاديث كثيرة في بيان مناقبه رضي الله عنه؛ وهي على قسمين؛

الأول: المناقب العامة في فضائل الصحابة وآل البيت.

الثاني: المناقب الخاصة في الحسن رضي الله عنه

وهذا ما أذكره الآن ومن ذلك ما يلي:

الأولى: سيادته واصلاحه بين المسلمين

عن أبي بكرة قال: سمعْتُ رسُولَ الله صلّى اللهُ عليْه وسلّم على المنْبر والحسنُ إلى جنْبه ينْظرُ إلى النّاس مرّةً، وإليْه مرّةً ويقُولُ: "إنّ ابْني هذا سيّدٌ، ولعلّ اللهَ أنْ يُصْلح به بيْن فئتيْن عظيمتيْن من المُسْلمين" فقال الْحسنُ البصري: فوالله؛ والله بعْد أنْ ولي لمْ يُهْرقْ في خلافته ملْءُ محْجمة منْ دم. البُخاريّ(٣٧٤٦) وأحمد (٢٠٤٤٨و٢٠٤٩٩).

وقد وقع ذلك الصلح كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعنْ الحسن البصري قال استقْبل -والله- الحسنُ بْنُ عليٍّ مُعاوية بكتائب أمْثال الجبال؛ فقال عمْرو بْنُ العاص: إنّي لأرى كتائب لا تُولّي حتّى تقْتل أقْرانها! فقال لهُ مُعاويةُ -وكان والله خيْر الرّجُليْن-: أيْ عمْرو: إنْ قتل هؤُلاء هؤُلاء، وهؤُلاء هؤُلاء: منْ لي بأمُور النّاس منْ لي بنسائهمْ منْ لي بضيْعتهمْ؛ فبعث إليْه رجُليْن منْ قريْش منْ بني عبْد شمْس: -عبْد الرّحْمن بْن سمُرة، وعبْد الله بْن عامر بْن كُريْز- : فقال: اذْهبا إلى هذا الرّجُل: فاعْرضا عليْه، وقُولا لهُ: واطْلُبا إليْه: فأتياهُ: فدخلا عليْه: فتكلّما، وقالا لهُ: فطلبا إليْه: فقال لهُما الحسنُ: إنّا بنُو عبْد المُطّلب، قدْ أصبْنا منْ هذا المال، وإنّ هذه الأمّة قدْ عاثتْ في دمائها، قالا: فإنّهُ يعْرضُ عليْك كذا وكذا، ويطْلُبُ إليْك، ويسْألُك قال: فمنْ لي بهذا، قالا: نحْنُ لك به، فما سألهُما شيْئًا إلا قالا: نحْنُ لك به؛ فصالحهُ..." صحيح البخاري (٢٧٠٤).

وفيه فوائد منها:

- علمٌ منْ أعْلام النُّبوّة.

-ومنْقبةٌ للْحسن بْن عليٍّ؛ فإنّهُ ترك المُلْك لا لقلّة، ولا لذلّة، ولا لعلّة؛ بلْ لرغْبته فيما عنْد الله؛ لما رآهُ منْ حقْن دماء المُسْلمين؛ فراعى أمْر الدّين ومصْلحة الأُمّة.

وقال ابن شاهين: تفرد بهذه الفضيلة الحسن لم يشاركه فيها أحد. الكتاب اللطيف (١٥٢).

-وفيها ردٌّ على الْخوارج الّذين كانُوا يُكفّرُون عليًا، ومنْ معهُ، ومُعاوية، ومنْ معهُ بشهادة النّبيّ صلّى الله عليْه وسلّم للطّائفتيْن بأنّهُمْ من المُسْلمين، ومنْ ثمّ كان سُفْيانُ بْنُ عُييْنة يقُولُ عقب هذا الْحديث قوْلُهُ "من المُسْلمين" يُعْجبنا جدًّا.

-وفيه فضيلةُ الإصْلاح بيْن النّاس، ولا سيّما في حقْن دماء المُسْلمين.

- وفيه ولايةُ المفْضُول الْخلافة مع وُجُود الأفْضل؛ لأنّ الْحسن ومُعاوية وُلّي كُلٌّ منْهُما الْخلافة وسعْدُ بْنُ أبي وقّاص وسعيدُ بْنُ زيْد في الْحياة وهُما بدْريّان.

-وفيه: جوازُ خلْع الْخليفة نفْسهُ إذا رأى في ذلك صلاحًا للمُسْلمين.

-وفيه إطْلاقُ الابْن على ابْن البنْت.

-وفيه أنّ السّيادة لا تخْتصُّ بالأفْضل بلْ هُو الرّئيسُ على الْقوْم... وقال المُهلّبُ الْحديثُ دالٌّ على أنّ السّيادة إنّما يسْتحقُّها منْ ينْتفعُ به النّاسُ لكوْنه علّق السّيادة بالإصْلاح. فتح الباري (١٣/ ٦٦).

- قال ابن عبد البر: مكث الْحسنُ بْنُ عليٍّ نحْوًا منْ ثمانية أشْهُر لا يُسلّمُ الأمْر إلى مُعاوية، وسلّم الأمْر إلى مُعاوية في النّصْف منْ جُمادى الأولى منْ سنة إحْدى وأرْبعين، فبايع النّاسُ مُعاوية حينئذ، ومُعاويةُ يوْمئذ ابْنُ ستٍّ وستّين إلا شهْريْن.

قال ابن عبد البر: هذا أصح ما قيل في تاريخ عام الجماعة، وعليه أكثر أهل هذه الصناعة من أهل السير والعلم بالخبر، وكل من قال: إن الجماعة

كانت سنة أربعين؛ فقد وهم، ولم يقل بعلم، والله أعلم. الاستيعاب (١/ ٣٨٧).

وتأمل حب أبي هريرة واتباعه؛ حيث سلم عليه الحسن مرة فلم يسمع؛ فقيل له: هَذا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَدْ سَلَّمَ عَلَيْنَا؛ فلحقهُ وقال: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يا سَيِّدي، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّهُ سَيِّدٌ ". أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٨٥٧) وقال صحيح الإسناد وقال الذهبي: صحيح.

الثانية: محبة النبي صلى الله عليه وسلم له والأمر بحبه:

عنِ البراءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى عَاتِقِهِ، يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ" صحيح البخاري (٣٧٤٩).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عن رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ" قال أبو هريرة: فَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، بَعْدَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. صحيح البخاري (٥٨٨٤).

الثالثة: عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: " لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ" صحيح البخاري (٣٧٥٢).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَمَلَ الحَسَنَ، وَهُوَ يَقُولُ: "بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهٌ بِعَلِيٍّ" وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ. صحيح البُخاريّ (٣٧٥٠و٣٥٤٢).

الرابعة: عن ابنِ عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا" صحيح البخاري (٣٧٥٣).

وفيه: فضل ظاهر لهما؛ حيث شبههما عليه الصلاة والسلام بالريحان الذي له رائحة زكية، ووجه الشبه: أن الريحان مِمَّا يشم، والولد مِمَّا يشم ويقبل. عمدة القاري (٢٢/ ٩٨)

الخامسة: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ. أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وهذا الحديث اشتمل على منقبتين:

الأولى: شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لهما بالجنة.

الثانية: إخباره عليه الصلاة والسلام بأنهما سيدا شباب أهل الجنة. عقيدة أهل السنة في الصحابة (١/ ٣٦٤).

السادسة: عن بريدة قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَخْطُبُ، فَأَقْبَلَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ، عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ، يَعْثُرَانِ وَيَقُومَانِ؛ فَنَزَلَ؛ فَأَخَذَهُمَا؛ فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ: "صَدَقَ اللَّهُ: « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » (التَّغَابُنِ: ١٥) رَأَيْتُ هَذَيْنِ، فَلَمْ أَصْبِرْ" حسن أخرجه الترمذي (٣٧٧٤).

السابعة: عَنْ شَدَّادٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا، أَوْ حُسَيْنًا؛ فَتَقَدَّمَ؛ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ؛ فَسَجَدَ سَجْدَةً أَطَالَهَا؛ فَرَفَعْتُ رَأْسِي؛ فَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِهِ؛ فَرَجَعْتُ فِي سُجُودِي؛ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَطَلْتَ؟ قَالَ: "إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي؛ فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ" صحيح أخرجه أحمد (١٦٠٣٣). وقال الذهبي: أَيْنَ الفَقِيْهُ المُتَنَطِّعُ عَنْ هَذَا الفِعْلِ؟

وَفاتُهُ: وَتُوُفِّيَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلال فَتْرَة حُكْم مُعاوِيَةَ سَنَةَ ٤٩ هـ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
١٤٤٣
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
لعام ١٤٤٣ هـ

يوجد مجلدات السنوات القديمة
سعر المجلد ٢٥ جنيه
بدلاً من ٥٠ جنيه
حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه
سعر الكرتونة بدلاً من
~~١٥٠٠~~ جنيه
لفترة محدودة

هدايا قيمة
لأول ١٠٠ مشتر

سعر المجلد الجديد
١٠٠ جنيه

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
عام بتقيل .. وصفحة تطوى !!
انتصار السنة المحمدية والانتخابات
الفتنة المقنعة
يا دعاة الأمة الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

التوحيد
١٤٤٣